مجلة
الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية - علمية - محكمة - تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم - الجمهورية اليمنية - العدد الثالث - ديسمبر ٢٠٠٥م

في هذا العدد :

رواة الحديث من أهل ذمار إلى نهاية القرن الثالث الهجري
د. عبدالرحمن الخميسي

الذات الإنسانية في القرآن الكريم ومفهومها وأبعادها
د. بدور الفاضل الشيخ

أحكام الكلالة في القرآن الكريم والسنة والنبوية
د. عبده محمد يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية علمية محكمة تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم . الجمهورية اليمنية

العدد الثالث . ديسمبر . ٢٠٠٥م

رئيس التحرير

د . عبد الحق القاضي

مدير التحرير

أ . حسن محمد جابر

نائب مدير التحرير

أ . سامية البيضاني

سكرتير التحرير

فؤاد محمد السريحي

الهيئة الاستشارية :

أ.د. حسن محمد مقبولي الأهدل .
أ.د. محمد سنان الجلال .
أ.د. عبد الكريم زيدان .
أ.د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي .
أ.د. علي غالب المخلافي .
أ.د. علي أحمد القليصي .
أ.د. محمد يوسف الربيدي .
أ.د. محمد حاتم المخلافي .
أ.د. إبراهيم إبراهيم القريبي .

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان التالي :

مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم ــ الجمهورية اليمنية ــ صنعاء .

ص . ب (١١٢٢٩) هاتف (٤-٢١٦٨٦٥) فاكس (٢١٦٨٦٩)

الطباعة والإخراج الفني : محمد علي يحيى البزّاز

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

معايير النشر وضوابطه

تعنى المجلة بنشر البحوث الأصيلة والمبتكرة في مجالات العلوم القرآنية وفاء بمقتضيات الرسالة العلمية للكلية العليا للقرآن الكريم وذلك وفقاً للضوابط والمعايير التالية :

١) أن يتسم البحث بالأصالة ، مع وجوب مراعاة الموضوعية في العرض التناول ، والدقة والوضوح في اللغة العربية والأسلوب ، واستيفاء التوثيق المنهجي للنصوص والمقتبسات بذكر المصادر والمراجع ، وتحديد أرقام الآيات وتخريج الأحاديث .

٢) ألا يزيد عدد صفحات البحث على الثلاثين صفحة نوعية A٤ بواقع (٣٠٠) كلمة للصفحة الواحدة ، وألا يقل عن خمس عشرة صفحة .

٣) ألا يكون البحث منشوراً من قبل ، أو مقبولاً للنشر بجهة أخرى .

٤) أن ترسل النسخة الأصلية المطبوعة من البحث مع صورتين منها للمجلة ، مع مراعاة الضبط الكامل والمراجعة الدقيقة .

٥) تخضع البحوث المقدمة للنشر للفحص والتقويم من قبل محكمين أو أكثر من الأساتذة المتخصصين ذوي الخبرة في المجال ذاته .

محتوى العدد

الموضوع	الباحث	الصفحة
رواة الحديث من أهل ذمار إلى نهاية القرن الثالث الهجري	د. عبد الرحمن الخميسي	٣
الذات الإنسانية في القرآن الكريم. مفهومها وابعادها .	د. بدور الفاضل الشيخ	٣٧
احكام الكلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية	د. عبده محمد يوسف	٨٦
فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال	د. أحمد قطران	١٧٤

تعريف الرسائل

الموضوع	الباحث	الصفحة
جمال القراء وكمال الإقراء	التحرير	٢٣٣
تفسير سورة الطلاق. تفسيراً موضوعياً .	التحرير	٢٤٣
الملأ في القرآن الكريم .	التحرير	٢٦٤
حجية القياس	التحرير	٢٦٩

كلمة العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين . وبعد:

فها هي الكلية العليا للقرآن الكريم تواصل مسيرتها العلمية التنويرية ويبرز عددها الثالث حافلاً بشتى الموضوعات فيما يتصل بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية التي هي بيان للقرآن الكريم ، مع تعريفات ببعض البحوث التي تقدم بها أصحابها لنيل درجات علمية وأجيزت وهو جهد المقل في إبراز بعض جوانب النتاج العلمي الذي أفرزته اليمن في مجال البحث المتصل بالقرآن الكريم ، إسهاماً في تعريف الباحثين بالمجالات التي تم بحثها حتى يهتدي بها أولئك الذين يتوقون للكتابة في موضوعات مشابهة فيتحروا جدة التناول في نتاجهم العلمي

ولا يفوتنا التذكير بأن المجلة ترحب بالأبحاث في شتى مجالات المعرفة ذات الصلة بالقرآن الكريم ، مثل مجالات الإعجاز ووجوه القراءات والنحو القرآني وعلم الأصوات ، وعلوم الفواصل والضبط والرسم وأسانيد القرآن الكريم المتصلة برسول الله ﷺ . كما ترحب المجلة بنشر الرسائل التراثية بعد تحقيقها تحقيقاً علمياً حسب قواعد تحقيق التراث على ألا يزيد عدد صفحات الرسالة مع التحقيق عن خمس وثلاثين صفحة مقاس A ٤ ولا تقل عن خمس عشرة صفحة ، وغير ذلك من أبحاث الفكر الإسلامي واللغة العربية . كما نحب أن نلفت عناية العلماء الذين حصلوا على درجة الأستاذية ألا يبخلوا على المجلة بنتاجاتهم العلمية التي

ستلاقى معاملة متميزة باعتبارها ستأخذ طريقها للنشر دون خضوعها للتحكيم باعتبارهم رواد البحث العلمي وأبحاثهم لها مذاق خاص ، والباحثون من الشباب في حاجة للتلمذة على أيديهم من خلال عطائهم العلمي المتميز .

وفي الأخير نذكر بأن المجلة ترحب بأي تعقيبات أو مراجعات على ما ينشر بها من أبحاث شرط الالتزام بالمنهجية والنقد الموضوعي البناء .

والله من وراء القصد وهو المعين ...

رئيس التحرير .

رواة الحديث من أهل ذمار

إلى نهاية القرن الثالث الهجري

الدكتور / عبد الرحمن إبراهيم الخميسي

أستاذ الحديث المساعد بكلية التربية ــ جامعة صنعاء .

رواة الحديث من أهل ذمار إلة نهاية القرن الثالث الهجري .

د. عبد الرحمن الخميسي
كلية التربية . جامعة صنعاء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن اليمن بلد الإيمان والعلم والحكمة ، وقد حاز على هذا الشرف بشهادة النبي ﷺ له حيث قال:(الإيمان يمان ، والفقه يمان ،والحكمة يمانية)[١]وكفى بهذه الشهادة فخراً ، وشرفاً ، وفضلاً لأهل اليمن ، فقد كان منهم الأنصار الذين نصروا الله ورسوله ، ومنهم الأمداد الذين يأتون آخر الزمان لنصرة الإسلام [٢]، ومنهم الذين قبلوا بشرى النبي ﷺ حيث لم يقبلها بنو تميم[٣] ،ومنهم الذين يذود لهم النبي

(١) رواه البخاري في (المناقب باب قول الله تعالى : { يآأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى }) فتح الباري ٥٢٦/٦ ، رقم ٣٤٩٩ تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز – دار الفكر – ، ومسلم في (الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه) شرح النووي ٢١٩/٢ ، رقم ١٨٠ تحقيق خليل مأمون شيحا ط الثالثة ١٩٩٦م

(٢) رواه أحمد (الفتح الرباني ٢٩٦/٢٣-٢٩٧) لأحمد البنا – دار احياء التراث العربي – بيروت .

(٣) رواه البخاري في (بدء الخلق باب ماجاء في قول الله تعالى : { وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده }) ٢٨٦/٦ ، رقم ٣١٩٠ .

ﷺالناس يوم القيامة ليشربوا من حوضه [١] ، ومنهم الأشعريون الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الأشعريين إذا أرملوا أي فَنِيَ طعامهم . في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم) [٢] ومنهم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كذلك :

(جاء أهل اليمن هم أرق أفئدةً وأضعف قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين[٣] أهل الوبر[٤] قبل مطلع الشمس) [٥] ومنهم العلماء والأئمة الكبار في الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم

(١) رواه مسلم في (االفضائل باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ وصفاته) ٦٢/١٥ ، رقم ٥٩٤٦ .

(٢) رواه البخاري في الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ١٢٨/٥ رقم ٢٤٨٦ ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل الأشعريين ٢٧٨/١٦ رقم ٦٣٥٨ .

(٣) هم المكثرون من الإبل الذي يملك أحدهم المئتين منها إلى الألف وهو مأخوذ من الفديد وهو الصوت الشديد انظر : شرح النووي على مسلم ٢٢١/٢ تحقيق : خليل مأمون شيحا ط الثالثة ١٩٩٦م .

(٤) الوبر للبعير كالصوف للغنم . انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد الفيومي ص ٦٤٦– المكتبة العلمية –بيروت

(٥) رواه البخاري في الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ١٢٨/٥ رقم ٢٤٨٦ ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل الأشعريين ٢٧٨/١٦ رقم ٦٣٥٨ رواه مسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ٢٢٢/٢ رقم ١٨٧ .

المختلفة في مختلف العصور من أمثال أبي موسى الأشعري ﷺ [١] وطاووس بن كيسان اليماني[٢] ، وعطاء بن أبي رباح [٣]، وأبي مسلم [٤] وابي إدريس الخولانيين [٥]، ومسروق بن الاجدع [٦]وعامر الشعبي [٧]، وعمرو بن ميمون الأودي [٨]

(١) عبد الله بن قيس صحابي مشهور باسمه وكنيته قدم إلى المدينة بعد فتح خيبر وهو أحد الحكمين بصفين مات سنة ٥٠ هـ . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٥١/٢– دار الكتاب العربي – بيروت –

(٢) طاووس بن كيسان اليماني الحميري مولاهم ثقة فقيه فاضل من الثالثة مات سنة ١٠٦ هـ انظر : تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ص ٢٢٣ عناية عادل مرشد _ مؤسسة الرسالة _ ط الأولى ١٩٩٦م

(٣) عطاء بن أبي رباح المكي أبو محمد القرشي مولاهم أحد الأعلام عاش ثمانين سنة ومات سنة ١١٤ وقيل ١١٥ هـ انظر : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ٢٣١/٢ _ دار الكتب العلمية _ بيروت ط الأولى ١٩٨٣ م

(٤) أبو مسلم الخولاني الزاهد الشامي اسمه عبد الله بن ثوب ثقة عابد من الثانية مخضرم عاش إلى زمن يزيد بن معاوية . انظر : تقريب التهذيب ص ٥٩٣ .

(٥) أبو إدريس الخولاني عائذ الله بن عبد الله ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحبة له وكان من عباد أهل الشام و قرائهم مات بدمشق سنة ٨٠هـ . انظر : مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص ١١٢ _ دار الكتب العلمية _ بيروت

(٦) مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي ثقة فقيه مخضرم من الثانية مات سنة ٦٢ هـ وقيل ٦٣هـ . انظر : تقريب التهذيب ص ٤٦٠

(٧) عامر بن شراحيل الشعبي أحد الأعلام ولد في زمن عمر وأدرك خمس مئة من الصحابة مات سنة ١٠٣هـ وقيل ١٠٤ هـ . انظر : الكاشف للذهبي ٤٩/٢.

(٨) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله أدرك الجاهلية ولا صحبة له ثقة عابد مات سنة ٧٤هـ وقيل سنة ٧٥هـ . انظر : مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٩٩ والتقريب لابن حجر ص ٣٦٤

وهمام بن منبه [١]، وأخيه وهب[٢] ، ومالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من أصحاب المذاهب المتبعة [٣] ، وعبدالرزاق بن همام الصنعاني [٤]، وابن الوزير [٥]، وابن الأمير الصنعاني [٦] ، والشوكاني[٧] وغيرهم

وقد كانت اليمن إحدى البلدان المشهورة بالعلم التي كان يؤمها طلاب العلم والعلماء من شتى أرجاء المعمورة ،

(١) تأتي ترجمته ص

(٢) تأتي ترجمته ص

(٣) مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله الفقيه الإمام قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة ١٧٩هـ . انظر التقريب لابن حجر ص٩ ٤٤

(٤) عبد الرزاق بن همام الصنعاني أبو بكر ثقة حافظ مصنف مشهور عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع مات سنة ٢١١هـ . انظر : المصدر السابق ص ٢٩٦

(٥) محمد بن إبراهيم بن علي ابن الوزير ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب كتاب العواصم و القواصم وغيره توفي سنة ٨٤٠هـ . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٨١/٢ _ مكتبة ابن تيمية _

(٦) محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف المشهورة مثل سبل السلام وغيره توفي سنة ١١٨٢هـ . أنظر : المصدر السابق ١٣٣/٢

(٧) محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني الإمام المجتهد المحدث الفقيه المفسر صاحب كتاب نيل الأوطار وفتح القدير وغيرها من المصنفات الكثيرة ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر : المصدر السابق ٢١٤/٢

وخاصةً مدناً معينة فيها[١] ، ومن أشهر هذه المدن التي كان يرحل إليها لتحصيل العلم فيها مدينة (ذمار) [٢] ، والتي تقع إلى الجنوب من العاصمة (صنعاء) وتبعد عنها حوالي ٩٠ كيلو متر تقريباً ، ويقدرها الأقدمون بمسافة (مرحلتين) [٣] .

وتعتبر (ذمار) إحدى المدن التاريخية التي تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام ، وإحدى هجر العلم ومعاقله بعد الإسلام ، تخرج فيها كثير من العلماء في فنون شتى ، ومن هؤلاء العلماء الذين كانت تزخر بهم ذمار المحدثون وحفاظ الحديث ورواته ، وقد حاولت أن أحصر هؤلاء الرواة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى نهاية القرن الثالث الهجري فاجتمع لي من ذلك عدد لا بأس به .وقد سميت هذا البحث (رواة الحديث من أهل ذمار) ، وقسمته إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، فأما المقدمة فتشتمل على مكانة اليمن ومدينة (ذمار) خاصة ، وأما المباحث فالمبحث الأول عن (الصحابة الرواة من أهل ذمار) ، والمبحث الثاني عن (التابعين) الرواة من أهل ذمار) ، والمبحث الثالث عن (الرواة من أتباع التابعين فمن بعدهم من

(١) انظر : الأمصار ذوات الآثار للذهبي ص ١٨١ تحقيق قاسم علي سعد _ دار البشائر الإسلامية _ ط الأولى ١٩٨٦م

(٢) (ذمار) بكسر الذال وفتحها والكسر أشهر عند المحدثين وذكره ابن دريد بالفتح . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ٧/٣ _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت ١٩٧٩م

(٣) انظر : المصدر السابق ٧/٣

أهل ذمار) ، ثم الخاتمة وتشتمل على خلاصة البحث ، ثم المصادر التي رجعت إليها في البحث

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

المبحث الأول : (الصحابة الرواة من أهل ذمار)

١. قرط بن ربيعة الذماري:

قال ابن حجر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) [١] ذكره أبو موسى في الذيل وأخرج من طريق أبي أحمد العسال عن إسحاق بن محمد ، عن عثمان بن خرزاذ ، عن محمد بن يونس هو الكديمي : حدثنا قدامة بن عائذ بن قرط بذمار ، أني سمعت أبي يحدث عن أبيه قرط بن ربيعة وذكر رسول الله ﷺ فقلت صفه لي فقال : رأيته مفلج [٢] الثنايا [٣]

٢. أبو شداد الذماري العماني :

قال ابن عبدالبر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)[٤] سكن عمان ، وذكر أنه أتاهم كتاب رسول الله ﷺ في قطعة أديم ، قيل له : من كان عامل

(١) انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٢٧٠/٧ _ دار احياء التراث العربي بيروت

(٢) [مفلج الثنايا] الفلج بالتحريك هو : تباعد مابين الأسنان ، أنظر الفيروز أبادي (القاموس المحيط) ٢١١/١ ، فصل الفاء باب الجيم ط الثانية ١٩٥٢م

(٣) انظر أحمد بن علي بن حجر (الإصابة في تمييز الصحابة) ٤٣١/٥ تحقيق علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت ط الأولى ١٩٩٢م ولم أقف على تخريج الحديث عند غير ابن حجر .

(٤) انظر : طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣٢٤/٣ تحقيق إبراهيم الزيبق _ مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٩٨٩م

عمان يومئذ ؟ قال : إسوار من أساورة كسرى[١] ذكره البخاري عن موسى بن إسماعيل قال : نا عبدالعزيز بن زياد أبو حمزة الحبطي قال : ثنا أبو شداد رجل من أهل عمان ، وذكر أبو حاتم الرازي قال : أبو شداد رجل من أهل دما [٢] قال : جاءنا كتاب رسول الله ﷺ في قطعة أديم : من محمد رسول الله إلى أهل عمان ، ومن حديث أبي سلمة المنقري ، عن عبدالعزيز بن زياد الخبطي قال : نا أبوشداد [٣] وقال ابن حجر : أدرك النبي ﷺ وقرأ كتابه عليه وعاش مائة وعشرين سنة [٤]قلت : وقد تعقب العلماء ابن عبدالبر في نسبته أبا شداد إلى ذمار وهي قرية من قرى صنعاء في حين أن عُمان بضم أوله والتخفيف من أعمال البحرين ، منهم الرشاطي[٥] [٦]وابن الأثير[٧] ونقل عن ابن مندة وأبي

(١) (الإسوار) بكسر الهمزة : قائد العجم كالأمير في العرب والجمع أساورة ، انظر الفيومي أحمد بن محمد (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) ص ٢٩٥، مادة سار – المكتبة العلمية – بيروت ط الثانية ١٩٨٦م .

(٢) في المطبوع من الاستيعاب < ذمار > وهو خطأ مطبعي انظر الجرح والتعديل ٢٨٩/٩ .

(٣) انظر ابن عبدالبر القرطبي (الاستيعاب في أسماء الأصحاب) ١٦٨٧/٤ تحقيق علي البجاوي – دار الجيل – بيروت ط الأولى ١٩٩٢م .

(٤) انظر (الإصابة) ٤٣١/٥ .

(٥) هو عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي الحافظ استشهد سنة ٥٤٢ هـ . انظر طبقات علماء الحديث ٨٢/٤

(٦) انظر (الإصابة) ٤٣١/٥

(١) هو علي بن محمد بن محمد الجزري المحدث اللغوي الحافظ صاحب التاريخ والأنساب وغيرهما توفي سنة ٦٣٠هـ . انظر طبقات علماء الحديث ١٧٩/٤

نعيم أن نسبته (دمائي) بالدال المهملة والميم وبعد الألف ياء تحتها نقطتان نسبة إلى دماء قرية من قرى عمان[١]لكن قال ابن حجر : يحتمل إن كان أبو عمر حفظه أن يكون أصله من ذمار وسكن عمان [٢]

قلت : ولعله الصواب .

وأما الحديث الذي ذكر في ترجمته فقد رواه الطبراني في المعجم الأوسط من طريق أبي حمزة الحبطي عبدالعزيز بن زياد قال : حدثني أبو شداد رجل من أهل دما قرية من قرى عُمان قال : جاءنا كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل عمان : (سلام أما بعد فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المسجد وإلا غزوتكم) قال أبو شداد : فلم نجد أحداً يقرأ علينا الكتاب حتى وجدنا غلاماً أسود فقرأه علينا ، فقلت لأبي شداد : من كان يومئذٍ على عمان يلي أمرهم ؟ قال : إسوار من أساورة كسرى يقال له : سحان [٣]

٣. أبو مليكة الذماري :

(٢) انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لإبن الأثير ٢٢٥/٥ – دار إحياء التراث العربي– بيروت

(٣) انظر (الإصابة) ٤٣١/٥ .

(٤) انظر : سليمان بن أحمد الطبراني (المعجم الأوسط) ٦٠/٧ ، رقم ٦٨٤٩ تحقيق طارق الحسيني – دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ واسناده ضعيف فيه عبد العزيز ين زياد الحبطي مجهول . انظر : ذيل ميزان الاعتدال ص ٢٥٤ للعراقي تحقيق صبحي السامرائي ط الأولى ١٩٨٧م .

ويقال له : البغوي له صحبة ، عداده في أهل الشام روى عنه ابنه ، ونمران ، وأبو خراش ، وراشد بن سعد .

ومن أحاديثه ما رواه البخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) [١] في الكنى له ، وغيره ، عن أبي صالح ، عن معاوية ، عن راشد بن سعد ، عنه ، عن النبي ﷺ قال (لا يستكمل عبدٌ الإيمان كله حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يخاف الله في مزاحه وجده) [٢]وروى الطبراني سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) [٣]من طريق أبي عبيدالله الشامي ، عن أبي مليكة الذماري ، عن نمران اليحصبي ، عن بلال قال : قال رسول الله ﷺ : (يا بلال ناد في الناس: من قال لا إله إلا الله قبل موته بسنة دخل الجنة ، أو شهر ، أو جمعة ، أو يوم ، أو ساعة) قال : إذاً يتكلوا ،قال :(وإن اتكلوا) [٤]وروى الفريابي جعفر بن محمد (ت ٣٠١ هـ) [٥]من طريق

---

(١) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص٤٠٤

(٢) انظر : (الكنى) للبخاري ٧٤/١ رقم ٦٩٣ تحقيق السيد هاشم الندوي – دار الفكر – بيروت ، وشيرويه الديلمي (الفردوس بمأثور الخطاب) ١١٦/٥ رقم ٧٦٥٨ تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٩٨٦م واسناده ضعيف فيه أبو صالح عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث صدوق كثير الغلط . انظر : التقريب لابن حجر ص ٢٥٠.

(٣) انظر : طبقات علماء الحديث ١٠٧/٣

(٤) انظر : (المعجم الكبير) ٣٦٦/١ رقم ١١٢٣ تحقيق حمدي السلفي – مكتبة العلوم والحكم ط الثانية ١٩٨٣م واسناده ضعيف فيه أبو عبيد الله أو أبو عبد الله الشامي قال الذهبي وهاه الأزدي . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٥٤٤/٤ تحقيق علي البجاوي – دار المعرفة – بيروت

(١) انظر : طبقات علماء الحديث ٤١٢/٢

حريز بن عثمان ، عن أبي الحسن نمران ، عن أبي مليكة الذماري قال:(إن الرجل ليدخل على الإمام فما يخرج إلا مشركاً أو منافقاً إن أعطاه نسي الذي أعطاه وحمده وإن منعه خرج يذمه ويعيبه فإذا فعل هذا بالإمام فقد نافق وأشرك وإنما يمنع ويعطي الله ﷻ) (١)

(٢) انظر : (صفة المنافق) ١/٨٠ رقم ١١٢تحقيق بدر البدر – دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – ط الأولى ١٤٠٥ هـ واسناده ضعيف فيه نمران اليحصبي أبو الحسن لم أجد من ترجمه .

المبحث الثاني :(التابعون الرواة من أهل ذمار)

١. مرثد بن عبدالله الذماري :

ويقال : الزماني . وهو غير مرثد بن عبدالله اليزني ، روى عن أبي ذر . وروى عنه : ابنه مالك ، قال العقيلي محمد بن عمرو (ت ٣٢٧ هـ) [١] : لا يتابع على حديثه حديثه [٢] وقال الذهبي محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) [٣]فيه جهالة ، وليس بمعروف[٤]وذكره العجلي أحمد بن عبدالله (ت ٢٦١ هـ) [٥] وابن حبان محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ) [٦] في كتابيهما عن الثقات [٧]وقال ابن حجر : مقبول من الثالثة [٨] ومن أحاديثه عن أبي ذر ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر قال : قلت يا رسول الله اخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال : بل هي في رمضان . قال : قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة ؟ قال : بل هي إلى يوم القيامة . قلت : في

(١) انظر : طبقات علماء الحديث ٢٢/٣

(٢) انظر الذهبي (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ٨٧/٤ < ولم أجد قول العقيلي هذا في كتابه الضعفاء الكبير>.

(٣) انظر : شذرات الذهب لابن العماد ١٥٣/٦

(٤) انظر :(ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ٨٧/٤ .

(٥) انظر : طبقات علماء الحديث ٢٥١/٢

(٦) انظر : المصدر السابق ١١٣/٣

(٧) انظر (معرفة الثقات) ٢٦٩/٢ ، والثقات ٤٤٠/٥.

(٨) انظر (تقريب التهذيب) ص ٤٥٧.

أي رمضان هي ؟ قال : ابتغوها في العشر الأول أو العشر الأواخر ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت وغفلته قلت في أي العشرين هي ؟ قال : ابتغوها في العشر الأواخر لا تسألني عن شيء بعدها . ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت وغفلته فقلت : يا رسول الله أقسمت عليك بحقي عليك لما أخبرتني في أي العشرين هي ؟ قال : فغضب علي غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته أو صاحبته كلمة نحوها قال : التمسوها في السبع الأواخر لا تسألني عن شيء بعدها) (١)

وعن أبي ذر رضي الله عنه أيضاً قال : سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار ؟ فقال : الإيمان بالله قال : قلت حسبي الله او مع الإيمان عمل ؟ فقال ترضخ مما رزقك الله أو يرضخ مما رزقه الله (٢)

٢. نمران بن عتبة الذماري أبو داود :

روى عن أم الدرداء ، وروى عنه ابن أخيه الوليد بن رباح ويقال : رباح بن الوليد ، وحريز بن عثمان . ذكره ابن حبان في الثقات (٣)

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١٧١/٥ ، رقم ٢١٥٣٨ ، و١٧١/١ واسناده ضعيف من أجل مرثد بن عبد الله الذماري ليس بمعروف كما قال الذهبي في ترجمته .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦١/٦، رقم ٣٠٣٣٦ تحقيق كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض ط الأولى ١٤٠٩هـ واسناده ضعيف فيه مرثد بن عبد الله الذماري المتقدم .

(٣) انظر الثقات ٥٤٤/٧ تحقيق السيد شرف الدين أحمد – دار الفكر – ط الأولى ١٩٧٥م .

وأخرج حديثه في صحيحه [١] . وقال الذهبي : وثق [٢] وقال أيضاً : لا يدرى من هو ؟ [٣]

وقال كذلك :مجهول [٤] وقال ابن حجر : مقبول من السادسة [٥] ومن أحاديثه قال : دخلنا على أم الدرداء ونحن أيتام فقالت : أبشروا فإني سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته) [٦] وعن أم الدرداء قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : (إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعِن فإن كان لذلك أهلاً و إلا رجعت إلى قائلها) [٧]

---

(١) رواه في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان كتاب : السير ، ذكر البيان بأن الشهيد في القيامة يشفع في سبعين من أهل بيته) ٨٤/٧ ، رقم ٤٦٤١ ضبط كمال الحوت – دار الفكر – ط الأولى .

(٢) انظر (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة) ١٨٤/٣ – دار الكتب العلمية – ط الأولى ١٩٨٣م

(٣) انظر ميزان الاعتدال ٢٧٣/٤

(٤) انظر : ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ٤٠٦/٢ _ دار القلم _ط الأولى ١٩٨٨م

(٥) انظر (تقريب التهذيب) ص ٤٩٦ .

(٦) رواه أبو داود في كتاب (الجهاد باب الشهيد يشفع ٢٦/٣ ، رقم ٢٥٢٢ تعليق عزت الدعاس – دار ابن حزم – ط الأولى ١٩٩٧م ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٤٢/٦ رقم ٧٩٤٩– المكتب الإسلامي – ط الثالثة ١٩٨٢م .

(٧) رواه أبو داود في كتاب (الأدب باب اللعن) ١٣٤/٥ رقم ٤٩٠٥ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٨/٢ رقم ١٦٦٨ .

٣. همام بن منبه بن كامل بن سيج الأبناوي الصنعاني :

ويقال الذماري ، أبو عقبة ، أخو وهب بن منبه وكان أكبر منه ، وله من الأخوة غير وهب : غيلان ، وعقيل ، ومعقل ، وهمام هو آخرهم موتاً ، روى عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، وابن عمر ﷺ ، وروى عنه أخوه وهب بن منبه ، وابن أخيه عقيل بن معقل بن منبه ، وعلي بن الحسن ، ومعمر بن راشد [١]قال يحي بن معين (ت ٢٣٣هـ) [٢]:

ثقة [٣]وقال الإمام أحمد بن حنبل : (ت ٢٤١ هـ) [٤]ثقة [٥]وقال العجلي : ثقة تابعي [٦]وذكره ابن حبان في الثقات [٧]وقال الذهبي عنه : المحدث المتقن صاحب تلك الصحيفة الصحيحة التي كتبها عن أبي هريرة وهي نحو من مئة وأربعين حديثاً

(١) انظر (رجال مسلم) لابن منجويه ٣٢١/٢ تحقيق عبدالله الليثي دار المعرفة – بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ ، (سير أعلام النبلاء) للذهبي ٣١٣/٥ تحقيق شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت ط التاسعة ١٤١٣هـ ، (تهذيب الكمال) للمزي ٢٩٩/٣٠ تحقيق د. بشار عواد – مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٩٨٠م ، (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ٥٩/١١ – دار الفكر – بيروت ط ١٩٨٤م .

(٢) انظر : طبقات علماء الحديث ٧٩/٢

(٣) انظر (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم ١٠٧/٩ – دار إحياء التراث – بيروت .

(٤) انظر : طبقات علماء الحديث ٨١/٢

(٥) انظر (بحر الدم) ٤٤٢/١ تحقيق د. أبو أسامة وصي الله بن محمد بن عباس – دار الراية – ط الأولى .

(٦) انظر (معرفة الثقات) ٣٣٤/٢ .

(٧) انظر ٥١٠/٥ .

حدث بها عنه معمر بن راشد [١]وقال ابن حجر : ثقة من الرابعة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة على الصحيح [٢]ومن أحاديثه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر من أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها) [٣]

وعن وهب بن منبه ، عن أخيه همام قال : سمعت أبا هريرة ﷺ يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو[٤] فإنه كان يكتب ولا أكتب) قال البخاري : تابعه معمر عن همام عن أبي هريرة ﷺ [٥]

٤. وهب بن عبدالله الذماري :

قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧ هـ) [٦]سكن ذماراً وقد قرأ الكتب روى عنه زيد بن أسلم [٧]ذكره ابن حبان في الثقات وقال : ممن قرأ الكتب يروي عن الصحابة ، روى عنه أهل اليمن [٨].

(١) انظر (سير أعلام النبلاء) ٣٠٣/٥

(٢) انظر (تقريب التهذيب) ص ٥٠٥

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء) ٩٨/١ ، رقم ٤٢

(٤) هو عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي أبو محمد أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح انظر : تقريب التهذيب ص ٢٥٧

(٥) رواه البخاري في (كتاب العلم باب كتابة العلم) ٢٠٦/١ ، رقم ١١٣

(٦) أنظر : طبقات علماء الحديث ٢٦٠/٢

(٧) انظر (الجرح والتعديل) ٢٣/٩ .

(٨) انظر (الثقات) ٤٨٨/٥

٥. وهب بن منبه بن كامل الصنعاني الذماري أبو عبدالله :

أخو همام بن منبه ، ولد سنة أربع وثلاثين وروى عن ابن عباس ﷺ ، وجابر بن عبدالله ﷺ ، وأخيه همام بن منبه . روى عنه : عمرو بن دينار ، والمغيرة بن حكيم ، وعوف الأعرابي ، وسماك بن الفضل ، والمنذر بن النعمان ، وغيرهم [١] سأل عنه أبو زُرعة الرازي عبيدالله بن عبدالكريم (ت ٢٦٤ هـ) [٢]فقال : يماني ثقة [٣] وذكره ابن حبان في الثقات[٤]، وقال الذهبي : إخباري علاّمة قاص صدوق صاحب كتب مات سنة مائة و أربع عشرة[٥] ، وقال ابن حجر : ثقة من الثالثة مات سنة بضع عشرة و مائة [٦]ومن أحاديثه ما رواه عن أخيه همام ، عن معاوية قال:قال رسول الله ﷺ :(لا تلحفوا في المسألة فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً وأناله كاره فيبارك له فيما أعطيته) [٧] وعن ابن وهب بن منبه ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ

(١) انظر (الجرح والتعديل) ٢٤/٩ ، و (رجال مسلم) ٣٠٥/٢ ، و (طبقات الحفاظ) للسيوطي ٤٨/١ – دار الكتب العلمية – ط ١٤٠٣هـ .

(٢) انظر : تقريب التهذيب ص ٣١٣

(٣) انظر (الجرح والتعديل) ٢٤/٩

(٤) انظر (الثقات) ٤٨٧/٥

(٥) انظر (الكاشف) ٢١٦/٣ .

(٦) انظر (تقريب التهذيب) ص ٥١٥ .

(٧) رواه مسلم في (كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة)١٢٩/٧ ، رقم ٢٣٨٧ .

(كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً [١] وعن أبي موسى ، عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : (من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن اتبع السلطان افتتن) [٢]

٦. يحي بن الحارث الذماري المقرئ الغساني أبو عمرو أو أبو عمر الشامي :

روى عن واثلة بن الأسقع وقرأ عليه ، وسعيد بن المسيب ، وأبي الأشعث الصنعاني ، و عبدالله بن عامر اليحصبي و قرأ عليه القرآن العظيم . روى عنه : ابنه ، و الأوزاعي ، وسعيد بن عبدالعزيز ، و عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وصدقة ابن خالد ، والوليد بن مسلم ، وغيرهم [٣] قال أبو حاتم الرازي : ثقة كان عالماً بالقراءة في دهره بدمشق [٤] وقال يحي بن معين : ثقة ليس به بأس [٥] وذكره ابن حبان في

(١) رواه الترمذي (كتاب البر والصلة باب ما جاء في المراء) ٣٥٩/٤ ، رقم ١٩٩٤ تحقيق إبراهيم عطوة ط الأولى ١٩٦٢م ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١٤١/٤ – المكتب الإسلامي – ط الثانية ١٩٧٩م .

(٢) رواه النسائي في كتاب (الصيد والذبائح باب إتباع الصيد ١٩٥/٧ ، رقم ٤٣٠٩ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٠٢/٥رقم ٦١٧٢ .

(٣) انظر (الجرح والتعديل) ١٣٥/٩ ، و (تهذيب الكمال) ٢٥٦/٣١ ، و (تهذيب التهذيب) ١٧٠/١١ .

(٤) انظر (الجرح والتعديل) ١٣٥/٩ .

(٥) انظر (الجرح والتعديل) ١٣٥/٩ ، و (تهذيب الكمال) ٢٥٦/٣١ ، و (تهذيب التهذيب) ١٧٠/١١ ، و (تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين) ٢٥٩/١ تحقيق صبحي السامرائي – الدار السلفية – ط الأولى ١٩٨٤م

الثقات [١] وفي مشاهير علماء الأمصار وقال : من الأثبات في الروايات ممن صحب واثلة بن الأسقع زماناً وحفظ عنه ، ومات بالشام سنة خمس و أربعين ومائة [٢] ومن أحاديثه ما رواه عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من اغتسل يوم الجمعة وغسّل ، وبكّر وابتكر ، ودنا واستمع وأنصت ، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها) [٣]وعنه ، عن القاسم أبي عبدالرحمن ، أنه حدثه عقبة بن عامر ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : (من صام يوماً في سبيل الله عز وجل باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام) [٤]وعنه ، عن القاسم أبي عبدالرحمن ، عن أبي أمامة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : (من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر ، وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين) [٥] .

(١) انظر (الثقات) ٥/٥٣٠ .

(٢) انظر (مشاهير علماء الأمصار) ١/١١٩ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٥٩م .

(٣) رواه الترمذي في (أبواب الجمعة باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة) ٢/٣٦٧ – ٣٦٨ ، رقم ٤٩٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/٣٢٥رقم ٦٢٨١.

(٤) رواه النسائي في كتاب (الصيام باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري) ٤/١٧٤ ، رقم ٢٢٥٤ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/٣١٠ رقم ٦٢٠٦ .

(٥) رواه أبو داود في كتاب (الصلاة باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة) ١/٢٦٨ ، رقم ٥٥٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير٥/٢٨٨ رقم ٦١٠٤.

٧. يزيد بن نمران بن يزيد بن عبدالله المذحجي الذماري .

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأبي الدرداء رضي الله عنه ، وعن صحابي مقعد مرّ بين يدي النبي ﷺ وهو يصلي بتبوك ، روى عنه : إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر ، ومولى له اسمه سعيد ،وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر ، كانت داره بدمشق ثم الباب الشرقي وشهد وقعة مرج راهط [١] مع مروان بن الحكم [٢]، ولما وقعت الفتنة قال الناس : نقتدي بهؤلاء الثلاثة ربيعة بن عمرو الجرشي [٣]، ويزيد بن الأسود الجرشي [٤] ، ويزيد بن نمران الذماري ، فأما ربيعة فقتل بمرج راهط ، وأما يزيد بن نمران فلحق بمروان ، وأما يزيد بن الأسود فلحق بالساحل [٥]ذكره ابن حبان في الثقات [٦] وقال ابن حجر : ثقة عابد من الثالثة [٧]ومن أحاديثه قال : رأيت رجلاً بتبوك مقعداً فقال : مررت بين يدي النبي ﷺ وأنا على حمار وهو يصلي فقال

---

١) هي وقعة بالشام سنة ٦٤هـ قتل فيها مروان : الضحاك بن قيس الفهري والنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما وكان الأول عاملاً على دمشق والثاني على حمص من قبل ابن الزبير انظر : المنتظم في تأريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٦/٢٧– دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٩٩٢م .

٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ولي الخلافة في آخر سنة ٦٤هـ ومات سنة خمس في رمضان لا تثبت له صحبة انظر : تقريب التهذيب ص ٤٥٨ .

٣) ويقال له ربيعة بن الغاز وثقه الدار قطني وكان فقيهاً انظر : تقريب التهذيب ص ١٤٨

٤) وكان عبداً صالحاً مستجاب الدعوة قحط الناس في زمن معاوية وزمن الضحاك بن قيس فاستسقوا به فدعا الله فنزل المطر توفي سنة ٦٤هـ انظر : المنتظم لابن الجوزي ٦/٣٤

٥) انظر أبو الحجاج المزي (تهذيب الكمال) ٣٢/٢٥٩ ، و(تهذيب التهذيب) ١١/٣٢٠ .

٦) انظر (الثقات) ٥/٥٣٩ .

٧) انظر (تقريب التهذيب) ص ٥٣٥ .

: اللهم اقطع أثره فما مشيت عليها بعد ، وفي لفظٍ قال : قطع صلاتنا قطع الله أثره [١]

(١) رواه أبو داود في كتاب (الصلاة باب ما يقطع الصلاة) ٣٢٠/١ ، رقم ٧٠٥ ، واسناده ضعيف فيه سعيد مولى يزيد بن نمران لم يرو عنه غير سعيد بن عبد العزيز ولم يوثقه غير ابن حبان . انظر ترجمته في هذا البحث ص١٧ .

المبحث الثالث : (الرواة من أتباع التابعين فمن بعدهم من أهل ذمار) .

١. إسحاق بن رفيع الذماري :

روى عن ابن جريج ، وروى عنه الحسن بن الزبرقان ، قال أبو حاتم الرازي : مجهول (١)

٢. أيوب بن وهب بن منبه الذماري الصنعاني :

ذكره ابن حبان في الثقات (٢) وفي مشاهير علماء الأمصار في طبقة أتباع التابعين باليمن وقال من خيار أهل صنعاء ممن كان يغرب عن أبيه (٣) وقال الذهبي : بنو وهب : عبدالله وعبدالرحمن وأيوب ليسوا بالمشهورين (٤)

٣. رباح بن الوليد بن يزيد بن نمران الذماري :

ويقال : الوليد بن رباح والصواب الأول .

روى عن إبراهيم بن أبي عبلة، والمطعم بن المقدام ، وعمه نمران بن عتبة الذماري.

روى عنه : مروان بن محمد الطاطري ، ويحي بن حسان التنيسي وسماه الوليد بن رباح خطأً(٥) قال مروان بن محمد الطاطري (ت ٢١٠هـ) (٦) الراوي عنه : كان

---

(١) انظر (الجرح والتعديل) ٢٢٠/٢ .

(٢) انظر (الثقات) ٥٤/٦ وروى له فيه عن أبيه في قوله تعالى { وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن }[فاطر : ٣٤] قال : حزن الموقف .

(٣) انظر (مشاهير علماء الأمصار) ص ١٩٣.

(٤) انظر (ميزان الاعتدال)٥٩٧/٤ .

(٥) انظر (تهذيب الكمال) ٤٩/٩ .

(٦) انظر : تقريب التهذيب ص ٤٥٩

ثقة[١] وذكره أبو زرعة عبدالرحمن بن عمرو الدمشقي (ت ٢٨١ هـ) [٢]في نفرٍ ثقات [٣]

وقال الذهبي وابن حجر : صدوق [٤]ومن أحاديثه ما رواه عن عمه نمران بن عتبة ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ﷺ : أن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء ، وحديثه عن عمه كذلك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء ﷺ : يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته ، وسبق تخريجهما في ترجمة (نمران بن عتبة) [٥] ، وله حديث ثالث رواه عن إبراهيم ابن أبي عبلة ، عن أبي حفص الشامي ، عن عبادة بن الصامت ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : (إن أول ما خلق الله القلم ...) [٦]

٤. سعيد مولى يزيد بن نمران الذماري(أبو داود):

ومولى القوم منهم ، روى عن مولاه يزيد بن نمران ، روى عنه : سعيد بن عبدالعزيز ، قاله أبو حاتم الرازي [٧] وذكره ابن حبان في الثقات [٨] ومن أحاديثه حديث

(١) الجرح والتعديل ٤٩٨/٣

(٢) انظر طبقات علماء الحديث ٣٢٨/٢

(٣) انظر (الجرح والتعديل) ٤٩٨/٣ .

(٤) انظر (الكاشف) ٣٩٠/١ ، و (تقريب التهذيب) ص ١٤٥.

(٥) ص١٠

(٦) رواه أبو داود في (السنة باب القدر) ٥٢/٥ ، رقم ٤٧٠٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٨٤/٢ رقم ٢٠١٥ .

(٧) انظر (الجرح والتعديل) ٧٧/٤ .

(٨) انظر الثقات ٣٧٧/٦

المقعد الذي رواه عن مولاه يزيد بن نمران وسبق تخريجه في ترجمة (يزيد بن نمران) [١] .

٥. عبد الله بن وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري :

روى عن أبيه ، روى عنه : إبراهيم بن عمر بن كيسان ، وداود بن قيس ، وأبو الهذيل عمران بن عبدالرحمن بن هريد . قال يحي بن معين : هو أقدم من عبدالرحمن بن وهب بن منبه ، وقال أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ) [٢]معروف [٣]، وقال ابن حجر : مقبول من السادسة[٤] ومن أحاديثه ماروا ه عن أبيه عن أبي خليفة ، عن علي بن أبي طالب ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف) [٥]

(١) ص١٥

(٢) انظر الكاشف ٣١١/١

(٣) انظر (تهذيب الكمال) ٢٨٧/١٦.

(٤) انظر (تقريب التهذيب) ص ٢٧١.

(٥) رواه (البزار) ٢/ ٣٢٢ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله – مكتبة العلوم والحكم – المدينة ط الأولى ١٤٠٩هـ و النسائي في (مسند علي) كما في (تهذيب الكمال) ٢٠٨/٢١ و البيهقي في (شعب الإيمان) ٣٣٦/٦ تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٤١٠هـ وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ١٨/٨ – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ وذكره يوسف أوزبك في (مسند علي) ٨٦٧/٣ – دار المأمون للتراث – ط الأولى ١٩٩٥م وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١١٣/٢ رقم ١٧٦٧

٦. عبدالملك بن عبدالرحمن الذماري الصنعاني أبو هشام :

روى عن سفيان الثوري ، وإبراهيم ابن أبي عبلة ، والأوزاعي ، روى عنه : إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، ونوح بن حبيب ،وأحمد بن صالح ،والفلاس [١] قال أبو زرعة الرازي : منكر الحديث [٢] وقال أبو حاتم : ليس بالقوي [٣] ، وقال الإمام أحمد : أتيناه قبل أن يدخل صنعاء فإذا عنده عن سفيان وإذا فيها خطأ كبير وإذا هو تصحيف يقول : الحارث بن حصيرة ومثل هذا [٤] ، وقال الفلاس عمرو بن علي (ت ٢٤٩ هـ) [٥] : كان ثقة [٦] وذكره ابن حبان في الثقات [٧]وقال ابن حجر : صدوق كان يصحف من التاسعة [٨] ومن أحاديثه ما رواه عن سفيان : حدثني محمد بن المنكدر ، عن جابر رضي الله عنه قال : رأيت النبي

(١) انظر (التاريخ الكبير) للبخاري ٤٢٢/٥ تحقيق السيد هاشم الندوي – دار الفكر – ، و (الكنى والأسماء) ٨٧٨/١ ، و (المقتنى في سرد الكنى) للذهبي ١٢٦/٢ تحقيق محمد صالح المراد – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ١٤٠٨هـ ، و (تكملة الإكمال) لمحمد عبد الغني البغدادي ١٦٧/١ تحقيق د. عبد القيوم عبد رب النبي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط الأولى ١٤١٠هـ

(٢) انظر (الجرح والتعديل) ٣٥٥/٥

(٣) انظر المصدر السابق ٣٥٥/٥

(٤) انظر (ميزان الاعتدال) ١٥٠/٨ تحقيق علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى ١٩٩٥م

(٥) انظر : تقريب التهذيب ص ٣٦١

(٦) انظر (الجرح والتعديل) ٣٥٥/٥ .

(٧) انظر (الثقات) ٣٨٦/٨ .

(٨) انظر (تقريب التهذيب) ص ٣٠٤ .

ﷺ يقرأ (أيحسب أن ماله أخلده) [١] وروى عن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن أبي الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : (إن النساء خلقن من ضلع أعوج لا يستقمن على خليقة إن تقمها تكسرها وإن تركتها تستمتع بها وفيها عوج) [٢]

٧. عبدالملك بن محمد الذماري :

وقيل ابن عبدالرحمن أبو الزرقاء الصنعاني ، ويقال هما شيخان رويا عن الأوزاعي [٣] قال أبو حاتم : ليس بقوي[٤] وقال الفلاس : ثقة[٥]، وقال ابن حبان : عبدالملك بن محمد الصنعاني – صنعاء الشام – عن زيد بن جبيرة ، ويحي بن سعيد الأنصاري ، وعنه هشام بن عمار ، كان يجيب في كل ما يسأل حتى ينفرد عن الثقات بالموضوعات [٦]

٨. عبدالرحمن بن وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري :

قال الذهبي : بنو وهب : عبدالله وعبدالرحمن وأيوب ليسوا بالمشهورين [٧]

---

(١) رواه أبو داود في (كتاب الحروف والقراءات) ١٨٨/٤ – ١٨٩ ، رقم ٣٩٩٥ واسناده حسن .

(٢) رواه أحمد ٤٩٧/٢ ط– دار الفكر– واسناده حسن

(٣) انظر (ميزان الاعتدال) ٤٠٩/٤ .

(٤) انظر (الجرح والتعديل) ٣٦٩/٥ .

(٥) انظر المصدر السابق ٣٦٩/٥

(٦) انظر (المجروحين) ٢/ ١٣٦ تحقيق محمود إبراهيم زايد – دار الوعي – حلب ط الثانية ١٤٠٢هـ

(٧) انظر (ميزان الاعتدال)٤٥٧/٧ .

٩. عبدالملك بن هشام الذماري :

هو عبدالملك بن عبدالرحمن بن هشام أبو هشام الذماري – المتقدم ذكره – كما رجح ذلك الذهبي وابن حجر وقال هذا الأخير بأنه قد ينسب إلى جده [١] وأما أبو حاتم الرازي فقد فرق بينهما فقال عن عبدالملك بن عبدالرحمن بن هشام ليس بالقوي كما تقدم [٢]، وقال عن هذا : شيخ [٣]

١٠. عمر بن عبدالرحمن الذماري أبو أمية :

روى عن أبيه ، وعكرمة . روى عنه : عبدالملك بن عبدالرحمن الذماري ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال : من أهل اليمن [٤]، وذكره كذلك في مشاهير علماء الأمصار في طبقة أتباع التابعين باليمن وقال : من أصحاب عكرمة [٥]

١١- مالك بن مرثد بن عبدالله الذماري :

ويقال الزماني ، روى عن أبيه ، عن أبي ذر ﷺ . روى عنه : أبو زميل سماك بن الوليد الحنفي ، والأوزاعي واضطرب فيه فقال مرة : عن مرثد بن أبي مرثد ، ومرة قال : عن ابن مرثد أو أبي مرثد [٦]

(١) انظر (الكاشف) للذهبي ١٩٠/٢ ، و (تقريب التهذيب) لابن حجر ص ٣٠٤ ، ٣٠٧ .
(٢) ص ١٨
(٣) انظر (الجرح والتعديل) ٣٧٤/٥
(٤) انظر (الثقات) ١٧٧/٧ .
(٥) انظر (مشاهير علماء الأمصار) ص ١٩٣
(٦) انظر (تهذيب الكمال) ٢٥٥/٢٧

ذكره ابن حبان في الثقات[١]، وسبق تخريج حديثه في ترجمة أبيه [٢].

١٢- **ابن وهب بن منبه الذماري الصنعاني :** روى عن أبيه ، روى عنه : أبو بكر بن عياش ، قال الذهبي : لا يعرف[٣]، وقال ابن حجر : مجهول من السادسة[٤] ، وسبق تخريج حديثه في ترجمة أبيه [٥]

(١) انظر (الثقات) ٤٦٠/٧

(٢) ص٩

(٣) انظر (ميزان الاعتدال) ٥٩٧/٤

(٤) انظر (تقريب التهذيب) ص ٦٢٢

(٥) ص ١١

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذه زبدة البحث وخلاصته أقدمها للقارئ الكريم لعلها تقرب له الصورة ، وتوضح له الحقيقة ، حيث بلغ مجموع الرواة الذين ترجمت لهم اثنين وعشرين راوياً ، منهم ثلاثة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، وسبعة تابعيون ، واثنا عشر من أتباع التابعين فمن بعدهم ، وقد اقتصرت في ذكر التراجم إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، لأنه بنهاية هذا القرن الهجري انتهي من تدوين معظم كتب السنة المطهرة ، وانتهى العصر الذهبي للرواية كذلك ، ثم إن جميع هؤلاء الرواة من أهل (ذمار) ثقات عدول ومقبولون ماعدا أربعة منهم هم من أتباع التابعين فإنهم ضعفاء وضعفهم محتمل عند العلماء .

والله الهادي إلى سواء السبيل

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب – يوسف بن عبدالله بن عبدالبر – تحقيق : علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – ط : الأولى ١٩٩٢م .

٢. أسد الغابة بمعرفة الصحابة – ابن الأثير الجزري – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣.الإصابة في تمييز الصحابة – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق : علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – ط : الأولى ١٩٩٢م .

٤. تاريخ أسماء الثقات – عمر بن أحمد بن شاهين – تحقيق صبحي السامرائي – الدار السلفية – الكويت – ط : الأولى ١٩٨٤م .

٥. التاريخ الكبير – محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق : السيد هاشم الندوي – دار الفكر .

٦. تقريب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق : عادل مرشد – مؤسسة الرسالة – ط : الأولى ١٩٩٦م .

٧. تهذيب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دار الفكر – بيروت – ط : الأولى ١٩٨٤م .

٨. تهذيب الكمال – أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي – تحقيق : د. بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط : الأولى ١٩٨٠م .

٩. تكملة الإكمال – محمد عبدالغني البغدادي – تحقيق : د. عبدالقيوم عبد رب النبي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ط : الأولى ١٤١٠هـ .

١٠.الثقات – محمد بن حبان البستي – تحقيق : السيد شرف الدين أحمد – دار الفكر – ط : الأولى ١٩٧٥م .

١١. الجرح والتعديل – عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي – دار إحياء التراث – بيروت .

١٢. رجال صحيح مسلم – أحمد بن علي بن منجويه – تحقيق : عبدالله الليثي – دار المعرفة – بيروت – ط : الأولى ١٤٠٧هـ .

١٣.سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني – تعليق : عزت عبيد الدعاس – دار ابن حزم – ط : الأولى ١٩٩٧م .

١٤. سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – تحقيق : إبراهيم عطوه عوض – نشر مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط : الأولى ١٩٦٢م .

١٥. سنن النسائي – أحمد بن شعيب النسائي – تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

١٦. سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي – تحقيق : شعيب الأرناؤط و محمد نعيم العرقوس – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط : التاسعة ١٤١٣هـ .

١٧. شعب الإيمان – أبوبكر البيهقي – تحقيق : محمد السعيد بسيوني – دار الكتب العلمية بيروت – ط : الأولى .

١٨. صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) – ضبط : كمال يوسف الحوت – دار الفكر – ط : الأولى .

١٩. صحيح البخاري بشرحه فتح الباري – محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن باز – دار الفكر .

٢٠. صحيح مسلم بشرح النووي – مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق : الشيخ خليل مأمون شيحا – دار المعرفة – بيروت – ط : الثالثة ١٩٩٦م

٢١. صفة المنافق – جعفر بن محمد الفريابي – تحقيق : بدر البدر – دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت – ط : الأولى ١٤٠٥هـ .

٢٢. طبقات الحفاظ – عبدالرحمن السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤٠٣هـ .

٢٣. الفردوس بمأثور الخطاب – شيرويه الديلمي تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٨٦م .

٢٤. القاموس المحيط – الفيروز أبادي – الطبعة الثانية ١٩٥٢م .

٢٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة – شمس الدين الذهبي – تحقيق : محمد عوامه – دار القبلة – جدة – ط : الأولى ١٩٩٢م .

٢٦. كتاب بحر الدم في من تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم – يوسف بن عبدالهادي – تحقيق : د. وصي الله بن محمد – دار الراية – الرياض – ط : الأولى ١٩٨٩م .

٢٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار – أبوبكر بن أبي شيبة – تحقيق : كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – ط : الأولى ١٤٠٩هـ .

٢٨. الكنى والأسماء – مسلم بن الحجاج القشيري – الجامعة الإسلامية – المدنية المنورة – ط : الأولى ١٤٠٤هـ .

٢٩. المجروحين – محمد بن حبان البستي – تحقيق : محمود إبراهيم زايد – دار الوعي – حلب – ط : الثانية ١٤٠٢هـ .

٣٠. مجمع الزوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ .

٣١. المسند – أحمد بن حنبل – ط : دار الفكر – مصر .

٣٢. مسند البزار (البحر الزخار) – أبو بكر البزار – تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله – مكتبة العلوم والحكم – المدينة – ط : الأولى ١٤٠٩هـ

٣٣. مسند علي – جمع وتأليف : يوسف أوزبك – دار المأمون للتراث – ط : الأولى ١٩٩٥م .

٣٤. مشاهير علماء الأمصار – محمد بن حبان البستي – تحقيق : م. فلايشهمر – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٥٩م .

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أحمد بن محمد الفيومي – المكتبة العلمية – بيروت : الثانية ١٩٨٦م .

٣٦. المعجم الأوسط – سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق : طارق بن عوض الله الحسيني – دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ .

٣٧. المعجم الكبير – سليمان بن أحمد الطبراني – تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي – مكتبة العلوم والحكم – المدينة – ط : الثانية ١٩٨٣م

٣٨. معرفة الثقات – أحمد بن عبدالله العجلي – تحقيق : عبدالعليم البستوي – مكتبة الدار – المدينة المنورة – ط : الأولى ١٩٨٥م .

٣٩. المقتنى في سرد الكنى – شمس الدين الذهبي – تحقيق : محمد صالح المراد – مطابع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ١٤٠٨هـ .

٤٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال – شمس الدين الذهبي – تحقيق : علي محمد معوض عادل أحمد عبدالموجود – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٩٩٥م .

الذات الإنسانية في القرآن الكريم

مفهومها وأبعادها .

الدكتورة/ بدور الفاضل الشيخ عبد الكريم

الذات الإنسانية في القرآن الكريم ـ مفهومها وأبعادها ـ

د. بدور الفاضل الشيخ عبد الكريم
الكلية العليا للقرآن الكريم

خلاصة

على الرغم من الأهمية البالغة التي حظي بها موضوع الذات الإنسانية في الحقل التربوي والنفسي الحديث والمعاصر ، وسعي كثير من المربين والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة ، نجد أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا . فقد تباين في تفسير طبيعة الذات الإنسانية ومفهومها فمنهم من تناولها بمفهوم النفس وعرفها على أساس تركيبي أو على أساس وظيفي ، ومنهم من تناولها بمفهوم الشخصية ، الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين هما : صعوبة ضبط السلوك البشري ، واستحالة وضع تفسير واحد وموحد للذات الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفسيولوجية وعقلية وغيرها من آليات التشكيل الإنساني .

إن محاولة فهم الذات الإنسانية وتحديد أبعادها بمعزل عن التصور القرآني للذات الإنسانية سيؤدي حتماً إلى تشكيلها وصياغتها بمضامين متباينة ومتغايرة ، وسيجعلها تأخذ مسلكا وأنماطًا متباينة ، وفقاً لاختلاف الرؤية أو التصورات الأيديولوجية الأمر الذي يوقع الإنسان في كثير من الأخطاء ، فالجذور القرآنية تمثل أساس علم النفس الإسلامي الأصيل ، أصالة الروح والنفس في البدن ووجودها..

وأن الله عز وجل قد اعتنى في كتابه المجيد عناية تامة بالذات الإنسانية مبيناً وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، كما حث القرآن الكريم الإنسان على التفكير في ذاته ودراستها ومعرفة أسرارها .

تأتي هذه الدراسة في محاولة للكشف عن الذات الإنسانية في القرآن الكريم من حيث مفهومها وأبعادها ، وحددت الباحثة مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية :

١. هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟
٢. ما أبعاد الذات في القرآن الكريم ؟
٣. ما التصور القرآني للذات الإنسانية ؟

وللإجابة على تساؤلات الدراسة اتبعت الباحثة المنهج الاستنباطي في محاولة لاستخلاص مفهوم الذات وأبعادها من بعض آيات القرآن الكريم وتشير نتائج الدراسة إلى وجود فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القرآن الكريم حيث يفرق القرآن الكريم بين النفس و الروح ، فليستا مترا دفتين . وقد وردت الروح في القرآن الكريم بمعني السر الإلهي . فالروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها ، كما وردت في القرآن بمعني أمين الوحي ، و أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس ، وحينما نتدبر سياق النفس في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات

بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، فالنفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية .

يحدد القرآن الكريم الذات الإنسانية بأربعة أبعاد هي :- الجسم، العقل، الروح، والنفس ، أما الذات الإنسانية من حيث تكوينها فهي كائن من تراب يستمر توالده من ماء مهين ليملك عقلاً وسمعاً وبصراً وبدناً ويكون أهلا لكي تسكن الروح (مادة وروح) ، ويبصر القرآن الكريم الإنسان بذاته في قوامها وتركيبه الإنساني ، يحدد مفهومها بعمق ويشرح ويفسر أبعادها : فخلقُه من قبضة من طين يمثل الجانب المادي ، أما الجانب الروحاني للإنسان (نفخة من روح الله تعالى) فيتمثل في كل المعنويات التي يمارسها في حياته كسلوكيات روحانية معنوية غير مادية أي لا تدركها الحواس ولكن يستدل عليها من آثارها في الواقع المحسوس ليبقى الإنسان في التصور الإسلامي هو ذلك الكائن الاجتماعي المكون من جسد وظائفي وعقل تمييزي وحشد من العواطف والأحاسيس والرغبات المشروطة بأخلاقيات فاضلة ومعرفة بالذات والله تعالى والكون عامة.

إننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة الذات الإنسانية ، بهدف معرفة المفاهيم الإسلامية النفسية وفهمها فهما صحيحا بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الذات الإنسانية ، وفي علم النفس الإسلامي دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الذات الإنسانية دورها ووظيفتها .

تمهيد:

لم يكتب لعلم النفس أن يأخذ حظه وينمو ويترعرع أو ينصهر في بوتقة العلوم الإسلامية لزمن طويل وقرون عديدة كما أخذت بعض العلوم كالفلسفة والفقه والرياضيات وعلم الفلك.. حظها من التوجه والإمعان خلال النهضة العلمية في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادي، في الوقت الذي كان فيه علماء المسلمين على قدر كبير من القدرات والمواهب المتعددة . فقد جمعوا وترجموا العلوم على اختلافها دون الاقتصار على علم معين واحد ، وعلى الرغم من أن علم النفس هو أحد العلوم القرآنية الواضحة المعالم بأكثر من ٧٠% من مجمل التوجهات العلمية في القرآن. وأمام هذا التوسع الهائل لعلم النفس وضرورته اليومية لابد لنا من النظر إلى ما في ذخيرتنا القرآنية والإسلامية والتاريخية من نظريات وتحليلات نفسية وسلوكية (١٣)

ولم يكن علم النفس يوماً وليد النهضة الأوربية كما يقال، كما لم يكن على الإطلاق أحد إفرازات الحضارة الغربية، ولكن شاء الكثير من الباحثين في علم النفس أن يتركوا أو يتناسوا التاريخ والغور في معالم النفس البشرية ولربما مالوا كل الميل ولا نقول بانحيازهم كل الانحياز إلى ما كتب حديثاً وتسهلت طباعته وتيسر نشره ، ولم تكن تهمهم تلك الجذور النفسية الموجودة في الفكر القرآني التي تأصلت لتربى الإنسان على أن يستطيع معالجة وفهم نفسه وبدوافع ذاتية.

كما لم يكن يهمهم الرجوع إلى الجذور القرآنية التي تمثل أساس علم النفس الإسلامي الأصيل ، أصالة الروح والنفس في البدن ووجودها.. ولا غرو إذا وجدنا أن الله جل وعلا قد اعتنى في كتابه المجيد كل تلك العناية بالذات الإنسانية مبيناً مفهومها ومدلولاتها وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، والحقيقة أنّ تراجع علم النفس القرآني في كتابات وتفاسير الأولين لم يكن متأتياً من قصور في علم النفس ذاته أو علاجه بل كان لقصور في أقلام المفسرين وباعهم الذي غالباً ما يقتصر على الفهم اللغوي والسرد التاريخي للعلوم القرآنية من دون تحليل. (١٢) وفي علم النفس الإسلامي دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الإنسان البشري : دوره و وظيفته في الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية ، حتى تنطلق دراساته عن فهم واقعي وصحيح وشامل للنفس البشرية . (٧) ويحظى موضوع الذات الإنسانية بأهمية بالغة في الحقل التربوي الحديث والمعاصر. فقد سعى كثير من المربين والفلاسفة إلى تحديد الآليات التي تكوّن عناصر الكائن الإنساني الظاهرة منها والباطنة. وقد كان هاجس تفسير طبيعة الذات الإنسانية ومفهومها موضوعًا للدراسة من قبل العلوم النفسية والاجتماعية والأنثربولوجية. فمنهم من تناولها بمفهوم النفس ومنهم من تناولها بمفهوم الشخصية، علي أنها :مجموعة السمات البدنية والروحية التي تظهر في المهارات الحياتية لإنسان بعينه وتميزه عن غيره ، : ويرجع الاهتمام بالشخصية إلى الواقع العالمي؛ حيث أصبح الإنسان يعيش غريبًا معزولاً

عن أعماق ذاته، ويحيا مقهورًا من أجل الوسط المادي الذي يعيش فيه. غير أن الاهتمام العلمي والفلسفي على اختلاف التوجهات النظرية والأيديولوجية لم يكن اهتمامًا متجانسًا. الشيء الذي يفسر حقيقتين مهمتين هما : صعوبة ضبط السلوك البشري، ثم استحالة وضع تفسير واحد وموحد للظاهرة الإنسانية التي تتداخل فيها مجموعة معطيات بيولوجية وفيزيولوجية وعقلية وغيرها من آليات التشكيل الإنساني. (١٩)

أهمية الدراسة والحاجة إليها :

إن عملية فهم بناء الذات الإسلامية مهما كان حجمها إذا لم يسبقها تحديد علمي دقيق لمفهومها ، وكيفية تحقيقها، يكون مجرد عبث، ومضيعة للوقت، وإهدارًا للطاقات. ومن هنا وانطلاقًا من عدم جواز العبثية على الله حدد سبحانه وتعالى المنهج الإسلامي الواضح لبناء الذات الإنسانية والتحديد الدقيق لمفهومها حتى تقوم بدورها وتحقق هدفها بكل وعي والتزام ووضوح. إن الذات الإنسانية قد تم تشكيلها وصياغتها بمضامين متباينة ومتغايرة، تجعلها تأخذ مسلكا وأنماطًا متباينة ، وفقاً لاختلاف الرؤية أو التصورات الأيديولوجية ، ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة الذات الإنسانية ، بهدف معرفة المفاهيم الإسلامية النفسية فهما صحيحا بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الذات الإنسانية، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان ، و يلاحظ أن الكثير من الدراسات التي تصدت للذات الإنسانية

قد ركزت على بعض جوانب الشخصية والقليل الذي في حكم النادر من الدراسات قد تنبهت لدراسة طبيعة الاختلاف بين الروح والنفس لذا تأتي هذه الدراسة في محاولة للكشف عن الذات الإنسانية مفهومها وأبعادها لسد النقص في هذا المجال وفتح الطريق لدراسات لاحقة ، وحيث لم تجر أي دراسة حتى الآن (حسب علم الباحثة) فإن هذه الدراسة تشكل إسهاماً في تشخيص أبعاد الذات الإنسانية ، وهذا يؤكد أهميتها . وتنبع أهمية هذه الدراسة أيضاً من أهمية الموضوع الذي تتناوله كونها تتناول الذات الإنسانية من منظور قرآني وعلاقتها بكل من الجسم و العقل و الروح والنفس ، ومن المسلم به أن الأعلم بالشيء صانعُه وموجدُه ، وخالق الناس هو الله سبحانه وتعالى وهو الذي يعلم كل شيء عن الإنسان قال تعالى﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك :١٤) وكفى بعلمه سبحانه وتعالى . (١٧)

مشكلة الدراسة :

تتحدد مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية :

١. هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟
٢. ما أبعاد الذات في القرآن الكريم ؟
٣. ما التصور القرآني للذات الإنسانية ؟

منهج الدراسة :

وللإجابة على سؤال الدراسة وما تفرع منه من أسئلة قد اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستنباطي وهو "الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(١٣). وقد استخدمت الدراسة هذا المنهج في محاولة لاستخلاص مفهوم الذات وأبعادها من بعض آيات القرآن الكريم

المبحث الأول :
الروح و النفس والشخصية في القرآن الكريم :

أولاً : مفهوم الروح

إن علماءنا السابقين نَحَوا بأبحاثهم نحواً بعيداً عن هذا المجال لظنهم بأن الروح والنفس من الأمور الإلهية التي ليس للإنسان الخوض فيها منسجمين في ذلك و معتقدين ومؤمنين بتفسير الآية الكريمة ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة: الإسراء – الأية: ٨٥) و لربما يحرم البعض منهم الحديث عنها أو الغور في دواخلها لما قد يعد ذلك نوعاً من المساس بالحالة الشخصية الذاتية للإنسان. كما يكره البعض منهم الدخول في أعماقها لاعتبار أن ذلك يعد نوعاً من الغيبة والنميمة التي حرمها الله تعالى . على الرغم مما يؤكد عليه بعض الباحثين من أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس الحديث حالياً كما جرت العادة على ترجمته واستخدامه. ويفرق القرآن الكريم بين النفس و الروح ،فليستا مترا دفتين، فالروح وردت في القرآن إحدى وعشرين مرة [٥] منها ما يعني أمين الوحي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٢– ١٩٥) ولقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل : ١٠٢)

كما تأتي الروح بمعنى السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية (قبضة من طين) كائناً حياً بأمر الله تعالى . ففي خلق آدم يقول تعالى للملائكة : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر : ٢٩) وفي خلق الوليد الإنساني يقول تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (السجدة : ٩)وقوله تعالى : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم : ١٢) وهذه الروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها، كما يقول عز وجل في الآية السابقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء : ٨٥)

ثانياً :مفهوم النفس :

المفهوم اللغوي للنفس: النَّفْسُ بتسكين الفاء في اللغة وردت بمعان متقاربة منها النَّفْسُ الدم : يقال سالت نفسه أي سال دمه ، وفي الحديث (ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه) والنَّفْسُ الجسد : ويقولون ثلاثة أَنْفُسٍ فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان و نَفْسُ الشيء عينه يؤكد به يقال رأيت فلانا نَفْسَهُ وجاءني بنفسه. (١)

والنفس كما يتحدث عنها علم النفس موضع خلاف فبعض الباحثين يعرفون النفس على أساس تركيبي وبعضهم يعرفها على أساس وظيفي .

١) **الأساس التركيبي :** أكثر التوصيفات التركيبية شيوعا للنفس هي ما أشارت إليه مدرسة التحليل النفسي أن اعتبار النفس تركيب من أجزاء هي : الهو- الأنا – الأنا الأعلى (٤) وأن هذا التركيب بمكوناته هو ما يمكن أن نعتبره النفس ومن الطبيعي أن يكون لهذا التركيب البسيط جزئيات وتفريعات وتطويرات تشمل الكثير من الأفكار والمدارس.

٢) **الأساس الوظيفي :** بعض الباحثين يسقطون الجانب التركيبي للنفس نظرا للاختلاف البين في مجاله حيث إنه يضيف تركيبا مجردا لا جسم له.. ويلجأون إلى تعريف النفس باعتبارها التركيب الذي يؤدي الوظائف النفسية الأساسية وهي:

أ. الوظيفة المعرفية بدءا من الإحساس والانتباه والإدراك والتفكير والتصور والتذكر.

ب. الوظيفة الوجدانية بمكوناتها من المشاعر والانفعالات العواطف.

ج. الوظيفة النزوعية بمكوناتها من الحركة والكلام والإرادة القدرات العامة والخاصة والدوافع (٤)

أما النفس في القرآن الكريم فقد وردت مفردة في مائة وست عشرة آية وجمعاً بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة (٥) وحينما نتدبر سياقها في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، ومن ثم يجوز عليها الموت أو القتل مصداقاً لقوله تعالى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (آل عمران : ١٨٥)﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مِوْتِهَا ﴾

لقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر : ٤٢)

ولقوله تعالى ﴿ . . . تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام : **١٥١**) ولقوله عز وجل : ﴿ . . قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً ﴾ (الكهف : ٧٤)

تبين هذه الآيات أن النفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية . [٧] وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم بمفاهيم ثلاثة أساسية وهي :

١. النفس الأمارة بالسوء :مصداقاً لقوله تعالى :﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف: ٥٣)

٢. النفس اللوامة : وقد أقسم بها الله في قوله تعالى :﴿ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ٢)

٣. النفس المطمئنة : لقوله عز وجل﴿ يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾(الفجر : ٢٧ – ٣٠)

إن النفس في القرآن وردت بمفهوم الذات. (٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.﴾ سورة البقرة/ ٥٤.

إن علاقة الجسم والنفس علاقة وطيدة لا تنفصم عراها فكلاهما يؤثر في الأخر ويتأثر به، ويظهر دلك بوضوح عندما يمر الإنسان بموقف ضاغط أو بمشكلة ما ويلاحظ ما يحدث لجسمه من تغيرات، حيث تزداد معدلات ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم، وربما تتضاعف مرات التنفس نتيجة لانقباضات عضلية معينة في منطقة الصدر ... وغيرها من التغيرات الفسيولوجية (٦)

إن علماء النفس المحدثين، بتبنيهم مناهج البحث في العلوم الطبيعية، قد حصروا أنفسهم في دراسة الظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة موضوعية، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النفسية الهامة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبي. وبذلك أبعدوا النفس ذاتها من دراساتهم ، وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه . وكان من نتيجة هذا الاتجاه في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في بحوث علم النفس أن سادت في دراساته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الظواهر النفسية إلى العمليات الفسيولوجية ، مغفلين في كثير من الأحيان الاختلاف الكبير في طبيعة تكوين

الإنسان الذي يتميز عن الحيوان بالعقل والتفكير كما أغفلوا دراسة كثير من الظواهر السلوكية الهامة في الإنسان التي تتناول النواحي الدينية والروحية، والصراع النفسي بين الدوافع البدنية والدوافع الروحية، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان، (١٠) أو أنهم تناولوا الذات الإنسانية بأبعادها بمفهوم النفس أو الشخصية .

إن أبرز ما في الكيان البشري أنه كيان مزدوج الطبيعة ، هذا الازدواج خاصية تفرد بها الإنسان على سائر مخلوقات الله تعالى ، سواء الحيوانات أو الملائكة فالحيوان مخلوق ذو طبيعة واحدة تعمل في اتجاه واحد وهو إشباع حاجاته الجسمية فحسب . أما الملائكة فقد حدثنا القرآن الكريم بأنها سبقت خلق آدم عليه السلام(٧)، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ (البقرة:٣٠) فالملك إذن مخلوق ذو طبيعة واحدة وهو يعيش في نطاق روحه ويطيع أمر الله تعالى بلا إرادة أو تصرف ذاتي، لقوله تعالى ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم :٦) ، فالمخلوق البشري إذن يجمع بين الجسدية الشهوانية (قبضة الطين) وبين النورانية الروحانية (نفخة من روح الله) . وهو مخلوق مزود بقدرات من أبرزها طاقة المعرفة والتي تتمثل في قدرته على التفكر والتدبر مصداقاً لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١)

ثالثاً : مفهوم الشخصية:

يقصد بدراسة الشخصية الاهتمام بتلك الصفات الفريدة والمميزة لكل فرد و التي تجعل منه وحدة فريدة في ذاتها ومختلفة عن غيرها وهذا ما يبين قدرة وعظمة الخالق عز وجل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم : ٢٢)

الشخص، في اللغة العربية، هو سواد الإنسان وغيره يظهر عن بعد، وقد يراد به الذات المخصوصة، وتشاخص القوم اختلفوا وتفاوتوا ، أما الشخصية فكلمة حديثة الاستعمال لم تجدها الباحثة في أمهات معاجم اللغة العربية، فإذا وجدت في بعض الحديث منها، فهي تعني سمات تميز الشخص من غيره، وكان استعمالها قائمًا علي معني الشخص، أي على معنى كل ما في الإنسان مما يؤلف شخصه الظاهر الذي يرى من بعد، وعلي مفهوم التفاوت [٤] ..ولقد اختلف علماء النفس كثيرًا في تعريف الشخصية فيرى برت Burt أن الشخصية، هي ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية، الثابتة نسبيًا، التي تعدّ مميزًا خاصًا للفرد، والتي يتحدد بمقتضاها أسلوبه الخاص في التكيف مع البيئة المادية والاجتماعية [٧]. أما طلعت منصور فيعرف الشخصية بأنها مجموع الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن

طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الامكان ، وذلك لكي تعطي معلومات موثوق بها (٨)

وتتميز شخصية المؤمن بسمات معينة ، مستوحاة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولاشك أن هناك الكثير من السمات التي يتحلى بها الإنسان المسلم والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

أولها :الإيمان بكل أركانه وهي الإيمان بالله تعلى وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥)

ثانيها : العبادة ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه : ١٤)

ثالثها : التجمل بالأخلاق الفاضلة التي بعث من أجلها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (٧)بكل صورها وعلى رأسها العدالة و تقوى الله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨)

ويرى بعض العلماء أن الشخصية في الأعماق بناء ثلاثي التكوين، وأن كل مكون في هذا التكوين يتمتع بسمات خاصة، وأن المكونات الثلاثة تؤلف في

النهاية وحدة متفاعلة ومتماسكة هي الشخصية، وهذه المكونات هي: الهُو – الأنا – الأنا الأعلى. وأن وجود هذه التكوينات في النفس الإنسانية تتوازى مع مفهوم "الهُو" في التحليل النفسي وتعني الجزء من النفس الذي يشمل الغرائز والرغبات وغيرها "والأنا الأعلى" وهو ما يمثل الضمير الذي يشمل نتاج التربية والتعليم من الوالدين للأبناء. ونتاج الاختلاف بين التركيبين النفسيين هو ما تواضع الباحثون على تسميته بالصراع النفسي الذي ينتهي باتخاذ السلوك موقفا إلى جانب أي من الطرفين وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ سورة البلد/ ١٠. و قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (سورة الإنسان / ٣) وبينما أخذت نظرية التحليل النفسي بحتمية السلوك الإنساني، أخذ الإسلام ، بمنهج اختيارية السلوك كما "قدمنا :﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ سورة البلد / ١٠ ، ومن هنا كانت مسئولية الاختيار تقع على عاتق الإنسان الفرد ، وقد ذهب المفهوم الإسلامي خطوة أوسع فاعتبر أن السلوك هو محل الحكم في قوله تعالى :﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (سورة الواقعة ٨ – ١٠) وفي تقويمنا لسلوك الآخرين فإن الإسلام اتجه إلى التقدير على ظاهر السلوك بينما اتجه التحليل النفسي إلى البحث عن الدوافع وتقويمها في اللاوعي الأمر الذي يوقع الإنسان في كثير من الأخطاء لان ما بالداخل ما هو إلا دليل قطعي عليه. وفي صراع الإنسان النفسي بين النفس

الأمارة واللوامة فإنه يصل في النهاية إلى تغليب جانب الخير في نفسه وهنا يصل إلى درجة من الاطمئنان النفسي يؤكدها إيمانه بالله وغيبه وقضائه وقدره واليوم الآخر والملائكة والنبيين. وهنا تصبح ذاته مطمئنة تستحق أن توصف بلفظ "النفس المطمئنة" فإن النفس المطمئنة هدف يقصده كل إنسان خروجا من الصراع النفسي الذي يعيشه وتقويم القرآن للنفس على أساس أنها الذات قد يلزمنا أن نذكر بعض الشيء عن سيكولوجية الذات كمنهج دراسي . إذ تعتمد مدارس سيكولوجية الذات على القواعد الآتية:

١. الاهتمام بالشعور وشبه الشعور- بدلا من العمق في اللا شعور.
٢. إعطاء الاهتمام الأكثر للذات الشعورية – فهي محور التعامل.
٣. الإنسان طاقة وقدرة يمكن أن يواجه المواقف.
٤. المشكلة الفردية ما هي إلا نتاج تفاعل الجانب الذاتي والبيئي معا. مما يؤكد أهمية الجانب البيئي في الدراسة
٥. الاهتمام بالحاضر في المقام الأول على أساس أنه هو المؤثر الأصيل في المستقبل.

ومن هنا يتضح أن وظيفة الذات تنحصر في العمليات الآتية :

أ. المواءمة بين نزعات الذات العليا و الذات الدنيا.

ب. المواءمة بين الشخصية ككل وبين المجتمع الذي نعيش فيه(٢١).

المبحث الثاني :أبعاد الذات

لقد عالج الإسلام أبعاد الذات الإنسانية بفلسفة تربوية نابعة من خطاب قرآني وسنة نبوية. والملاحظ أن الإسلام اهتم في توجهه التربوي بالكائن البشري ثم حاول ضبط هذا الكائن . وإذا تأملنا بعض نصوص القرآن فإننا نلاحظ تركيزه على مسألة المعرفة : معرفة الله/ معرفة النفس/ معرفة الكون/ معرفة الجنة والنار. وحين تسمح القراءة للإنسان بمعرفة ذاته وربه، فإنها ترقى إلى قراءة أخرى أعمق هي العلم، وبالتالي سيعلم الإنسان مجموعة أشياء كان يجهلها سابقًا ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ

﴿يَعْلَمْ﴾(العلق: ٥) ومنها: كينونته/ وظيفته /اختلافه عن باقي المخلوقات/ حقوقه/ واجباته/ ربه. ثم إن كلمة (عَلّمَ) تعني (لَقّن/ كَوّن/ ربَّى/ صحّح/ أنشأ/ ونقل من حالة إلى أخرى)، وهذه المدلولات تؤكد أن الإنسان ليس سلعة مادية أو رقمًا اقتصاديًا في سوق الإنتاج كما يدعي ماركس وأتباعه، وليس نزوة حيوانية كما يعتقد فرويد [١٩] ، وإنما هو:

جسد: وجود أعضاء وظائفية لها ارتباط بالسلوك.

عقل: يمييزه عن الحيوان.

عاطفة: وجود دوافع بيولوجية وأخرى خارجية.

سلوك: وجود مواقف وأفعال وحركات ذات معنى.

وكثيراً ما توجه آيات القرآن نظر الإنسان لكي يلتفت ويتمعن ويتأمل في أبعاد ذاته : مما تتكون وما العلاقة بين مكوناتها ؟

لقد تجمعت خلاصة ولب جسم الإنسان في البداية من قطرة ماء واحدة . ولاشك أن تطور البنية المعقدة لجسم الإنسان (الذي يملك عقلاً وسمعاً وبصراً ....) من قطرة واحدة شيء محير وغير عادي ، و لكي يدرك الإنسان القدرة غير المتناهية للخالق وعلمه غير المحدود المحيط بالكون، ليقرأ بتدبر وإمعان قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾

(السجدة : ٧- ٩) يتبين لنا من الآيات الكريمة السابقة مراحل خلق الإنسان ، فبداية خلقه من طين ، ثم جعل الله سبحانه وتعالى نسله مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ وفي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (المؤمنون :١٤- ١٥) يتبين تحول النطفة إلى علقة ، ثم خلق المضغة عِظَامًا ليأتي بعده اللحم كما تبين ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾ هذا عندما ينتهي كساء العظام باللحم تبدأ مرحلة من المراحل .. أهم ما في هذه المرحلة أن الجنين ينمو ... ينشأ ... يترعرع جسمه وبدنه ويكون أهلا لكي تسكن الروح هذه المرحلة .. فإذا توقفنا عن قوله سبحانه : أنشأناه وجدنا أن ينشأ بمعنى أسكنت فيه الروح وينشأ بمعنى ينمو الجسد ويترعرع وإذا بحثت في لغة العرب عن لفظ يدل على المعنيين : يدل على النمو و النشأة المحدثة لا تجد لفظا غير ينشأ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ﴾ (الواقعة : ٣٥) ويدل على الخلق وعلى الإيجاد من العدم وفي هذه المرحلة يحدث شيئان : أما البدن فينمو ويترعرع وأما الروح فتنفخ وبهذا تتم النشأة الكاملة للإنسان" ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (المؤمنون :١٤) بعد خلق الإنسان في هذه المرحلة لا يوجد مخلوق في الوجود يشابهه ، لا حيوان ، ولا نبات ،ولا ملاك ، ولاشيء في الكون مثل هذا الإنسان المكون من مادة وروح .[١٢] لقد جعل الله تعالى جميع أنشطة وفعاليات النمو والتطوير في جسم الإنسان تحت

نظم يسيطر عليها الدماغ، فالدماغ يقيم جميع الرسائل الآتية من مختلف أعضاء الجسم ثم يرسل أنسب الأجوبة وبأقصر وقت إلى الأماكن المناسبة، وهو يستخدم النظام الهرموني كوسيلة في التخابر وفي الاتصال . لقد خلق الله تعالى نظاماً وشبكة بريدية في غاية الروعة وتقوم جزيئات الهرمونات بوظيفة ساعي البريد، فكما يقوم ساعي البريد بالتجول في جميع أنحاء المدينة ناقلاً الرسائل إلى الأماكن المطلوبة، كذلك تقوم الهرمونات بنقل الأوامر الصادرة من الدماغ إلى الخلايا ذات العلاقة . وهكذا تتم في الجسم جميع الفعاليات الضرورية لحياة الإنسان . وتظهر ذلك الترابط القوي الدقيق . فقد ثبت بالتجربة المقارنة أن الاستماع إلى تلاوة القرآن ينتج عنه تغيرات في عدد من الوظائف الحيوية في الجسم البشري؛ والتي يمكن قياسها ورصدها إلكترونيا عن طريقة التصوير الكهربائي (تصوير كيرليان) أن قراءة القرآن تحدث تغيرات إيجابية في مجال الطاقة الكهربائية المغناطيسية المحيطة بالجسم [٢]. وهذه التغيرات يكون لها أثر إيجابي على الذات الإنسانية

إن الواقع الإنساني يبين أن الإنسان يمتلك القدرة العقلية والعاطفية والجسمية وأنه قادر على الاختيار والتمييز و الحكم. وحين كرم الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ [البقرة: ٣٠] وفي قوله عز و جل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨ .

٢٩] إنما هو دليل على قيمة الصورة الخلقية فتبارك الله أحسن الخالقين. وتظهر الميزة العقلية التي كرم بها الله الإنسان في نقله من ظلمة الأمية إلى نور المعرفة ومن ظلام الجاهلية والبهيمية إلى نور العلم والإيمان. ففي سورة الجن نلاحظ هذا التحول ﴿ . . . إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ الجن ١ – ٢) في السابق طرائق قدد فتحولوا إلى الهدى والتوحد حول الحق .فالإنسان حين يمتلك المعرفة من مصدرها القرآني بالعين والصورة والسمع، والترغيب والترهيب، فإنه سيكتشف حقيقة وجوده ووظائفه.[١٩] ويبصر القرآن الكريم الإنسان في قوامه وتركيبه الإنساني بالحقائق التالية :

- حقيقة خلق الإنسان من طين. مصداق قوله تعالى في سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ ﴾ الآية ٧١.
- حقيقة سلالته من ماء مهين
- حقيقة خلق الإنسان أطواراً، مصداقاً لقوله تعالى في سورة نوح: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ (الآية : ١٤)
- حقيقة خلق كل شيء من ماء، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية ٣٠.

أن الإنسان هو ذلك المخلوق المكرم على سائر المخلوقات الأخرى وإنه ذاك الذي أسجد الله له الملائكة، وهو الذي شرفه الله بمهمة الاستخلاف، ليكون السبب الذي يُجري من خلاله الله عدله ورحمته وأنه المخلوق الوحيد الذي جهزه الله بالعقل والاستعدادات المتميزة، (٢٠)

عنى القرآن الكريم عناية كبيرة بعقل الإنسان وبذاته العلمية وحث الناس على التعلم وتحصيل العلم. ولا أدل على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم كانت تدعو إلى القراءة والتعلم ، وتشيد بشأن القلم وهو الأداة التي علّم بها الله سبحانه وتعالى الإنسان الكتابة، وعلمه ما لم يكن يعلم من العلوم.

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي * عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١- ٥) يحتل لفظ (القلم) دلالة بالغة في الآية رقم ٤، فهو وسيلة للتدوين والحجة. و إنه الذاكرة الثانية بعد العقل، كما أنه جاء القلم كناية عن تنظيم المعرفة والانتقال بها من السماع إلى التدوين حتى يربط الإنسان بالممارسة الدائمة.

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم أداة الكتابة تكريما لشأن القلم والكتابة، وتنويها بفضلهما في عملية التعلم وتحصيل العلم.قال تعالى" ن والقلم وما يسطرون"(القلم : ١)

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل العلم، وكرم العلماء، ورفع من شأنهم، ووضع العلم في مرتبة عالية كمرتبة الإيمان. وقال تعالى :﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة :١١)

ولا أدل على تكريم القرآن للعلم والعلماء من ذكره "لأولي العلم " بعد " الملائكة " في الإقرار بوحدانية الله تعالى وبعدله وقدرته وحكمته في الآية التالية: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" ومن أدلة تكريم الله تعالى للعلم وإشادته بفضله أنه جل شأنه طلب من النبي صلوات الله عليه وسلامه أن يدعوه بالاستزادة من العلم في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (سورة: طه – الأية: ١١٤)

فالعلم والحكمة نعمتان من نعم الله العظيمة على الإنسان يخص بهما من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين.

قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (سورة: البقرة – الأية: ٢٦٩)

وكانت نعمة العلم والحكمة من أهم النعم التي أنعم الله تعالى بها على أصفيائه من الأنبياء والمرسلين كما أشارت إلى ذلك كثير من آيات القرآن الكريم. وحث القرآن الكريم الإنسان أيضا على التفكير في نفسه، وفي عجيب خلقه، ودقة تكوينه، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها. فمعرفة النفس تؤدي إلى معرفة

الله سبحانه وتعالى [١٠] كما نجد أن القرآن تحدث عن المعرفة وأدواتها قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨.) . و جعل القرآن الدليل طريقاً إلى مخاطبة العقل، عن طريق القضايا البرهانية، وضرب الأمثال المختلفة كما في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٣)، ﴿ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر : ٢١)

إن الدين الإسلامي لا يكتفي بمخاطبة الجانب العقلي عند الإنسان، وإنما يخاطب أيضا الجانب الروحي ويتحدث مع كل جانب بما يناسبه من المفردات ويتوافق مع طبيعته واستعداده ليستطيع الولوج إلى عالمه وتفعيله.وخاطب الجانب الروحي بخطابات تتماشى مع طبيعته وجبلّته وقدرته الإستعدادية على التفاعل معها فجعل النفس الإنسانية محور الخطاب ومركز التوجيه والبعث محاولاً إيقاظ هذا الجانب والدخول إلى مكامن النفس وعالمها الغامض عن طريق الحديث عن الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها في فوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم، الآية ٣٠) وقوله تعالى ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (إبراهيم: ١٠.). ويمكن إرجاع هدف القرآن من كل ذلك العمل على بعث الإنسان نحو الهدف الأسمى وهو الغاية من الكدح

في هذه الحياة لقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ ﴾ (الانشقاق: ٦) وبهذا يتحقق كمال الإنسان. و الإنسان – بذلك ، هو الوحيد القادر على تحقيق الذات والتكامل – المعرفي وغيره – كما في قوله تعالى: ﴿ . . وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ٧٨) عن طريق تفعيل هذه الأدوات وفي سبيل إثارة عقل الإنسان وإزالة الموانع والمعوقات النفسية وهناك مسؤوليات على الإنسان أن يقوم بها في حياته ايّاً كان انتماؤه من مثل مسؤولية الحفاظ على الذات؛ فكل إنسان مسئول عن نفسه بأن يحافظ عليها، ولا يدع الخطر يحدق بها، والذي لا يلتزم بواجبات هذه المسؤوليّة فانه متّهم في بشريته وانسانيته، اذ أنها ترتبط بطبيعة الإنسان ككائن حيّ يعيش على هذه الارض. والمسؤولية الاخرى هي مسؤوليّة العلم التي تشبه مسؤوليّة الحفاظ على الحياة لسببين:

١. انّ هذه المسؤوليّة جزء لا يتجزأ من المسؤولية الاولى، فالعلم هو الذي يدفع عنك الاخطار وهو الذي يزيل المشاكل، فالذي يعرف الطريق لا يمكن ان يضلّ ويتيه فتحدق به الاخطار، هكذا فانّ المعرفة هي التي تجنّب الإنسان الاخطار المحيطة به .

٢. انّ العلم جزء من كيان الإنسان، فانسانيته ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم، فالإنسان مسؤول عن تعلّمه الذاتي. (١١)

المبحث الثالث :- سيكولوجية الذات

لقد حاولت بحوث علمية على اختلاف فروعها اكتشاف الذات الإنسانية التي أصبحت موضوعًا للدراسة. باعتبار الانسان شتاتًا من العناصر التي تتحكم في بنيته العضوية والنفسية : فالبيولوجيا نظرت إلى الإنسان كعناصر عضوية هي التي تتحكم في قواه العقلية والعاطفية. والسيكولوجيا نظرت إليه بمثابة خزان من ردود الأفعال نحو مثيرات خارجية أو غرائزية، كما أن علم الاجتماع فسر الإنسان انطلاقًا من بنى اجتماعية تحتية هي التي توجه سلوكه اللغوي والعلائقي مع الآخر، في حين اعتبر علم الأجناس الإنسان عبارة عن حمولة من الموروثات العضوية والعوائدية، إلى غير ذلك من فروع المعرفة العلمية الأخرى .[١٩] وقد اتفقت جل هذه العلوم حول مسألة واحدة هي غموض هذا الكائن وغرائبية سلوكاته سواء الغريزية أو المكتسبة . ولذلك اعترفت هذه العلوم بصعوبة امتلاك الخصائص التي تكوّن الفرد وصعوبة التحكم فيها أو توجيهها بشكل مبسط .ويمكن تفسير هذا اللغز والغموض في

الظاهرة البشرية بكون الإنسان معجزة إلهية في طبيعة الصنع الخارجي، وفي الآليات الداخلية العصابية والعقلية والنفسية. ولذلك نجد في القرآن الكريم تذكيرًا أكثر من مرة بأصل الإنسان وبمراحل الحمل والولادة ثم الموت والبعث. وهذا التحكم الرباني في الإنسان يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(ق: ١٦) ثم إن السؤال التقريري في قوله عز وجل:﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴾ يؤكد أن هذه الأعضاء الخلْقية هي مصدر التحرك السلوكي . فالعين ليست فقط وسيلة للمشاهدة ولكنها كذلك عقله الذي يرى به وعاطفته التي تحيي إليه اللذة وتشكل مجموعة مواقف عصبية.في حين يبقى اللسان هو الأداة التي تنقل إلى الآخرين لغة العين من الناحية المرئية و التأملية. وبذلك نجد أن العين في القرآن الكريم تصبح حجة على صاحبها يوم القيامة: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (الإسراء :٣٦) لقد زودنا الله سبحانه وتعالى بإمكانات وطاقات علينا أن نؤمن بها فقد قال سبحانه تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾. (الذاريات :٢١)، و قال سبحانه تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة فصلت:٥٣).

تقويم الذات :

إن من نعم الله على العبد أن يهبه المقدرة على معرفة ذاته، والقدرة على وضعها في الموضع اللائق بها، إذ أنَّ جهل الإنسان نفسه وعدم معرفته بقدراته يجعله يقوِّم ذاته تقويماً خاطئاً فإما أن يعطيها أكثر مما تستحق فيثقل كاهلها، وإما أن يزدري ذاته ويقلل من قيمتها فيسقط نفسه. والشعور السيئ عن النفس له تأثير كبير في تدمير الإيجابيات التي يملكها الشخص، فالمشاعر والأحاسيس التي نملكها تجاه أنفسنا هي التي تكسبنا الشخصية القوية المتميزة أو تجعلنا سلبيين خاملين؛ إذ أن عطاءنا وإنتاجنا يتأثر سلباً وإيجاباً بتقديرنا لذواتنا. وتقويم الذات: يستند على نموذج لقياس الذات السوية و النموذج المحدد في الإسلام هو شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم [٤] في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب/ ٢١)

إن الذات: هي الجهاز المنظم للشخصية كما أنها الجزء الواعي منها والذي يمكن أن يوجه إليه الجهد لتستعيد الشخصية قوتها وحيويتها ، وهي نظرة الفرد إلى نفسه وهي تتضمن الوصف وليس الحكم وتتشكل هذه النظرة من خلال تفاعل مجموعة من العوامل أبرزها الخبرة مع البيئة المحيطة وعلاقته مع الآخرين إضافة إلى تفسيره لسلوكه الذي يقوم به [٩] هو أيضاً تقدير الفرد لقيمته ولأهميته مما يشكل دافعا لتوليد مشاعر الفخر والإنجاز واحترام النفس وتجنب الخبرات التي تسبب شعورا بالنقص، وعندما نتكلم عن التقدير الذاتي فإننا نقصد الأشخاص الذين لديهم شعور جيد حول أنفسهم.وهناك كثير من التعريفات لتقدير الذات، والتي تشترك في

طريقة معاملتك لنفسك واحترامها، فهو مجموعة من القيم والتفكير والمشاعر الإيجابية التي يملكها الفرد حول نفسه . وبناء وتقوية الذات ، يعتمد على الممارسة لنصل إلى الإدراك ونحس بالمشاعر ونقوم بالتصرف بكفاءة عالية. (٢١)

إن حقيقة الاحترام والتقدير رغم تأثرها بالعوامل المحيطة إلا أنها بداية تنبع من النفس؛ والإنسان الذي يعتمد على الآخرين في تقدير ذاته قد يفقد يوماً هذه العوامل الخارجية التي يستمد منها قيمته وتقديره وبالتالي يفقد معها ذاته، لذا لابد أن ينبعث الشعور بالتقدير من ذاتك وليس من مصدر خارجي يُمنح لك، فإذا اخترنا لأنفسنا التقدير وأكسبناها الاحترام فإننا اخترنا لها الطريق المحفز لبناء التقدير الذاتي. (١٨) أن صور تقدير الذات تعتبر محتوى يدل على مفهوم الشخص وإدراكه لذاته وتقدير الذات ليس شيئاً منفصلاً عن الأداء المدرسي في القراءة والكتابة والحساب والمهارات الاجتماعية والطبيعية وإنما يكون متكاملاً معها . ويعرف حامد زهران مفهوم الذات تعريفاً نفسياً بأنه : مكون معرفي منظم ، وموحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتعميمات الخاصة بالذات ، يبلوره الفرد . وأشار إلى أن مفهوم الذات تركيب يعرض تنظيم الخبرات ويوجب العمل . وأنه تركيب ديناميكي يكتسب باستمرار معارف جديدة مرتبطة بالمعارف القائمة والموجودة عن الذات (٣)

.

من خلال نظرتنا إلى النفس البشرية نجد أن لها قيمتها الكبرى، وأن الله أودع فيها من الطاقات والقدرات العظيمة التي استحقت بها الاستخلاف في الأرض، وأن الله .

تعالى ـ قد كرم الإنسان وفضله على سائر خلقه، من خلال هذه النظرة فإن على كل منا أن يحاول أن يستمسك بهذا الموقف من النظرة الإيجابية غير المشروطة تجاه نفسه وعندما يقدر الإنسان ذاته لا نعتبر ذلك من الأنانية وحب الذات، بل بالعكس فإن تقديرنا لأنفسنا يقدم لنا الأساس لكي نكون كرماء ومنتجين مع الآخرين، فالشعور بالذنب والحاجة الدائمة للاطمئنان من الآخرين إنما يقودنا إلى حب الذات وإلى الأنانية وإلى انعدام السعادة . (٩) ومن هنا يقسم علماء النفس التقدير الذاتي إلى قسمين:

١ – التقدير الذاتي المكتسب: وهو التقدير الذاتي الذي يكتسبه الشخص خلال إنجازاته، فيحصل الرضى بقدر ما أدى من نجاحات. فيبنى التقدير الذاتي على ما يحصله من إنجازات.

٢ـ التقدير الذاتي الشامل: يعود إلى الحس العام للافتخار بالذات، فليس مبنيا أساساً على مهارة محددة أو إنجازات معينة. فهو يعني أن الأشخاص الذين أخفقوا في حياتهم العملية لا يزالون ينعمون بدفء التقدير الذاتي العام، وحتى وإن أغلق في وجوههم باب الاكتساب.

والاختلاف الأساسي بين المكتسب والشامل يكمن في التحصيل والإنجاز الأكاديمي، ففكرة التقدير الذاتي المكتسب تقول: إن الإنجاز يأتي أولاً ثم يتبعه التقدير الذاتي. بينما فكرة التقدير الذاتي الشامل تقول: إن التقدير الذاتي يكون أولاً ثم يتبعه التحصيل والإنجاز. (١٥)

ويرى مؤيدو التقدير الذاتي المكتسب: أن التقدير الذاتي الشامل ذو تأثير سلبي؛ فزيادة الثقة تؤدي إلى المبالغة وهذا يؤدي إلى الشك الذاتي. بينما التقدير الذاتي المكتسب يمكن الفرد من الاهتمام بذاته، فهو ينمو طبيعياً وخصوصاً عندما ينجز شيئاً ذا قيمة. بينما يحتاج الشامل لتفعيل ما لديه، فلا بد من تدخل المعلم والوالدين والأشخاص المحيطين به، ليس فقط مجرد تشجيع وإنما قد يضطرون لخداعه بأن ما يفعله يستحق التقدير والثناء ، يشير تقدير الذات لهذه الصورة عن أنفسنا التي يحملها كل منا في رأسه، وهذه الصورة تتكون من خلال خبراتنا وتتأثر بقوة بالرسائل التي نتلقاها من الآخرين ، والطريقة التي ينظر بها الإنسان لنفسه تؤثر في كل نواحي حياته، فالتقدير الجيد للذات يعني شعورا بالحب والتقبل، ويعني ثقة وإقبالا على المحاولات الجديدة، ويعني علاقات جيدة مع الآخرين، ويعني أداء حسنًا في المدرسة والحياة بوجه عام، باختصار يعني حياة أجود وأهدافًا تسير نحو التحقيق وإنجازًا أكبر؛ ولذا يعتبر بناء احترام الذات لدى الطفل أول مهام الوالدية في عالم اليوم.. وللحق فإننا نبني أنفسنا وأبناءنا على التوازي ويمكننا السير نحو احترام الذات من خلال أربع قنوات:

١. الحب والتقبل والتشجيع.
٢. النجاح والإنجاز.
٣. الاتصال الجيد.
٤. التعرف على النفس عن قرب (الأفكار ـ المشاعر).

أن لكل منا قيمة في هذه الحياة، وأن الله خلقنا وكرمنا وحملنا في البر والبحر وسخر لنا الدواب والماء والرياح، وأسجد لنا الملائكة وأقسم بنفوسنا فقال: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (الشمس:٧)

فكيف لا تكون لنا قيمة؟

كثير من الأمور قد يخطئ فيها الإنسان، ولكن لا يجب أن نجعل الأخطاء وسيلة لكي نهدم بها ذواتنا، بل الواجب أن نصحح الخطأ بسرعة، وأن نعتبر أن الإنسان دائمًا يخطئ، لكن الإنسان الواعي يسارع إلى تلافي الأخطاء وتحويلها إلى خبرات ومهارات يمكن الاستفادة منها في المستقبل، وهذا هو المنهج الرباني في التعامل مع الأخطاء، فها هم الصحابة في غزوة أحد يخطئون ويخالفون أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وها هو القرآن ينزل يُقرّعهم على فعلتهم ويوبخهم على أخطائهم، ولكن يربت على ظهورهم بعد ذلك ويقول لهم عز وجل: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٩]

ـ فالإنسان يحاسب نفسه ولكن يحاسبها الحساب الإيجابي الذي يولد العمل والإنجاز والثقة بالذات، وليس المقت السلبي الذي يورث القلق والفزع واحتقار الذات والصراع معها.

ـ إن الإحساس بتدني قيمة الذات يعمل على تآكل الحياة، ويجعل الإنسان ينزلق إلى ما هو أسوء مع اليأس والإحباط، ولكن نظرة الاحترام إلى الذات تدفع الإنسان إلى معالي الأمور والحذر من الوقوع في الزلل. (١٨)

نقص تقدير الذات

تشير الدراسات أن قرابة ٩٥% من الناس يشكّون أو يقللون من قيمة ذواتهم وهم بهذا يدفعون الثمن عملياً في كل حقل يعملون فيه، فهؤلاء الذين يقارنون أنفسهم بالآخرين ويعتقدون أن الآخرين يعملون أفضل منهم وأنهم ينجزون ما يسند إليهم بيسر، فهم بهذه النظرة يدمرون ذواتهم ويقضون على ما لديهم من قدرات وطاقات. وقد يؤدي بهم ذلك إلى الاكتئاب والقلق وكثير من حالات الاكتئاب والأمراض التي لها علاقة بالازدراء الذاتي. وكان جيمس باتيل (١٩٨٠م) من الأوائل الذين قرروا قوة الترابط بين الاكتئاب والازدراء الذاتي، فلقد اكتشف إنه عند ازدياد الاكتئاب؛ فإن تقدير الذات يقل، والعكس بالعكس ولعلاج حالات الاكتئاب تتم تنمية المهارات الفردية في رفع مستوى تقدير الذات. يتبرمج بعض الناس منذ الصغر على أن يتصرفوا أو يتكلموا أو يعتقدوا بطريقة سلبية، وتكبر معهم حتى يصبحوا سجناء ما يسمى (بالبرمجة السلبية) التي تحد من حصولهم على أشياء كثيرة في هذه الحياة. فنجد كثيرا منهم يقول أنا ضعيف الشخصية، أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين ، أنا ضعيف في الإملاء ، أنا ..... ونجد أنهم اكتسبوا هذه السلبية إما من الأسرة أو من المدرسة أومن الأصحاب أو من هؤلاء جميعا. وينبغي توضيح بعض الحقائق

العلمية نحو عقل الإنسان ونركز على العقل الباطن، إن العقل الباطن لا يعقل الأشياء كالعقل الواعي فهو ببساطة يخزن المعلومات ويقوم بتكرارها فيما بعد وذلك كلما تم استدعاؤها من مكان تخزينها، فلو حدث أن رسالة تبرمجت في هذا العقل لمدة طويلة ولمرات عديدة مثل أن تقول دائما في كل موقف ... أنا خجول أنا خجول ... أنا عصبي المزاج، فإن مثل هذه الرسائل سترسخ وتستقر في مستوى عميق في العقل الباطن وعادة الأشخاص الذين لديهم ازدراء الذات يستجيبون إلى ظروف الحياة ومتغيراتها بأحدى طريقتين

– الشعور بالنقص تجاه أنفسهم: يشكون في قدراتهم لذلك يبذلون قليلاً من الجهد في أنشطتهم، وهم يعتمدون بكثرة على الآخرين لملاحظة أعمالهم، وغالباً ما يلومون أنفسهم عند حدوث خطأ ما، ويمنحون الثناء للآخرين في حالة حدوث النجاح، وعند الثناء عليهم يشعرون بارتباك في قبول هذا الثناء والإطراء، فالمدح يسبب لهم حرجا ؛ لأن لديهم شعور بأنهم يكذبون أو أنهم دجالون في حياتهم. وهذا الشعور مدمر، مهلك لهم فعند شتمهم أو إهانتهم لا يدافعون عن أنفسهم لأنهم يشعرون أنهم يستحقون ذلك.

– الشعور بالغضب وإرادة الثأر من العالم: فهم غالباً ما يعانون من مشاكل في أعمالهم وفي مسكنهم مما قد يسبب لهم في النهاية مرضاً نفسياً وعضوياً ورغبة في محاولة الانتقام من العالم. وتراهم دائماً يبحثون عن الأخطاء، ولا يرون إلا

السلبيات، ويجدون سروراً غامراً لأخطاء الآخرين ومشاكلهم . ويمكن ملاحظة هؤلاء من السلبيات التالية :

- إحتقار الذات أو عدم معرفة الإجابة عند حصول الإطراء والثناء.
- الشعور بالذنب دائماً، حتى ولو لم يكن هناك علاقة بالخطأ.
- الاعتذار المستمر عن كل شيء.
- الاعتقاد بعدم الاستحقاق لهذه المكانة أو العمل وإن كان الآخرون يرون ذلك.
- عدم الشعور بالكفاءة في دور الأبوة أو في دور الزوجية.
- يميلون إلى سحب أو تعديل رأيهم خوفاً من سخرية ورفض الآخرين.
- أظهرت الدراسات أنهم يحملون أنفسهم على التميز فتراهم يمشون ببطء مطأطئين رؤوسهم بحيث يبدون غرباء على العالم، يحاولون الانكماش على أنفسهم فلا يريدون أن يراهم الآخرون.

نتائج قلّة تقدير الذّات : يؤدي عدم احترام الذّات إلى نتائج سلبية كثيرة من أبرزها:

- القلق، التّوتّر.
- الشعور بالوحدة.
- الاحتمال المتزايد للاكتئاب .
- يسبّب المشاكل بالصّداقات والعلاقات .
- إفساد العمل وتدني التحصيل الأكاديمي.

- عادات سيئة كالتدخين وغيره. (٢١)

العلاقة بين تقدير الذات والتحصيل المدرسي والنجاح

لقد حاولت العديد من الدراسات معرفة العلاقة بين تقدير الذات والتحصيل الدراسي ، فهناك دراسات وجدت علاقة إيجابية بين تقدير الذات والتحصيل منها دراسة (ليلى عبد الحميد) التي أشارت إلى أن النجاح يجعل التلميذ يرضى عن نفسه ويقدرها ، ويمكن اعتبار النجاح حافزاً يرفع من تقويم التلميذ لنفسه وبالتالي يؤثر تأثيراً إيجابياً في تقديره لذاته بينما رسوب التلميذ وفشله الدراسي يجعله يشعر بعدم الكفاءة ويضعف ثقته في نفسه كما تبدو إنجازاته وطموحاته وطاقته الحيوية محدودة للغاية ومن ثم يفتقر إلى تقدير ذاته واحترامه لها. أوضحت دراسة Wang & et al, ١٩٨٩. ٣١٤ أن جزءاً كبيراً من مفهوم الذات يتشكل من خلال تفاعلاته مع الآخرين ، ويعتمد على توقعات المجتمع منه وينعكس على سلوكه ، ومن ثم فإن توافقه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنمو مفهوم الذات الإيجابية لديه (١٦) . إن تقدير الذات المنخفض يؤدي إلى انخفاض التحصيل الدراسي ، كما أن انخفاض التحصيل الدراسي يؤدي إلى انخفاض تقدير الذات ، فالعلاقة بين تقدير الذات وبين التحصيل الدراسي تبدأ آثارها على التلميذ حتى قبل أن يلتحق بالمدرسة . (١٤) ، كما توصلت مجموعة من الدراسات إلى أن هناك علاقة طردية ذات دلالة بين مفهوم تقدير الذات والتحصيل المدرسي، وتنخفض هذه العلاقة في مرحلة ما قبل المدرسة وتتصاعد في المدارس الابتدائية والثانوية. ويتم تشكيل مفهوم تقدير

الذات في مراحل مبكرة من عمر الطالب وقد تبين أن الأطفال الذين يظهرون تقدير ذات عاليا عاشوا في الأصل مع آباء وأمهات لديهم تقدير ذات عال فكان الأهل نموذجا لهم، وبالمقابل فإن المعلم نموذج للطالب فالتقدير العالي للذات عند المعلم ينعكس على الطلاب إيجابيا ، وهناك اتفاق بين الباحثين عن وجود علاقة بين تقدير الذات والنجاح، ولكن الاختلاف القائم هو عن طبيعة هذه العلاقة، فهل لابد أن يكون الشخص محققا لنجاح لكي يكون لديه الإيجابية في تقدير ذاته. أو أن احترام الذات يسبق النجاح. والحقيقة أنها علاقة تبادلية، مع أنه لابد من الاعتراف بأن الاعتداد بالذات واحترامها وتقديرها مطلب لكي يتم النجاح في الحقل العلمي، وهذا النجاح بالتالي يؤدي إلى زيادة تقدير الذات. فكل منهما يغذي الآخر (١٥)

نتائج الدراسة

تتحدد نتائج الدراسة من خلال الإجابة على تساؤلاتها ، وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على :

هل توجد فروق جوهرية بين مفهوم كل من النفس و الروح في القران الكريم ؟

نجد أن القرآن الكريم يفرق بين النفس و الروح ، فليستا مترا دفتين . وقد وردت الروح في القرآن الكريم بمعني السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية .وأن الروح هي من أمر الله تعالى ولا أحد سواه يعرف كنهها ، فالروح وردت في القرآن إحدى وعشرين مرة (٥) منها ما يعني أمين الوحي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء : ١٩٢- ١٩٥) ولقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل :١٠٢)، كما أن استخدام كلمة النفس في القرآن الكريم لا تعني الروح بل تعني الشخصية الإنسانية وهذا التوجه أو التحليل الأخير هو بمثابة المدخل الأول إلى علم الشخصية الإنسانية أو علم النفس الحديث كما جرت العادة على ترجمته واستخدامه ، والنفس كما يتحدث عنها علم النفس موضع خلاف فبعض الباحثين يعرفون النفس على أساس تركيبي وبعضهم يعرفها على أساس وظيفي ، أما النفس في القرآن الكريم فقد وردت مفردة في مائة وست عشرة آية وجمعاً بصيغة نفوس مرتين ، وبصيغة أنفس مائة وثلاثاً وخمسين مرة وحينما نتدبر سياقها في القرآن الكريم نلاحظ أنها تعني الذات بصفة عامة أي بعنصريها المادي والروحي ، ومن ثم يجوز عليها الموت.

تبين هذه الآيات أن النفس ليست مرادفة للروح التي هي سر الحياة . وأن الروح تمتزج إمتزاجاً كاملاً بالجسد فتكون النفس الآدمية . وقد ذكرت النفس في القرآن الكريم بأنواع ثلاثة وهي :

١. النفس الأمارة بالسوء ٢. النفس اللوامة ٣. النفس المطمئنة .

كما أن النفس في القرآن وردت بمفهوم الذات

وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على : ما أبعاد الذات الإنسانية في القرآن الكريم ؟

من خلال العرض السابق يبين لنا القرآن الكريم الذات الإنسانية ويحددها بأربعة أبعاد هي :- الجسم، العقل، الروح، والنفس ، وبمعنى آخر هي :

١. جسد: وجود أعضاء وظائفية لها ارتباط بالسلوك.
٢. عقل: يمييزه عن الحيوان.
٣. عاطفة: وجود دوافع بيولوجية وأخرى خارجية.
٤. سلوك: وجود مواقف وأفعال وحركات ذات معنى

وللإجابة على سؤال الدراسة الذي ينص على : ما التصور الإسلامي للذات الإنسانية ؟

فإن الإسلام قد حدد بعمق مفهوم الذات الإنسانية وشرح آلياتها وفسر عناصرها ومكوناتها.

خلقٌ من قبضة من طين ونفخة من روح الله تعالى ، و يقرر العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون من نفس العناصر التي يتكون منها طين الأرض ، مثل الأكسجين و الإيدروجين و الكربون و الحديد والكالسيوم إلى غير ذلك من العناصر التي تتكون منها تربة الأرض . وقبضة الطين هذه التي خلق منها الإنسان تتمثل في مختلف مطالب الجسم الحيوية اللازمة لحفظ بقائه. هذا يمثل الجانب المادي من الإنسان ، أما الجانب الروحاني للإنسان (نفخة من روح الله) فيتمثل في كل

المعنويات التي يمارسها في حياته فالخير والبر والرحمة والتعاون والإخاء والمودة والصدق والأمانة والعدل والإيمان بالله تعالى وبكل المثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع حياته كل ذلك سلوكات روحانية معنوية غير مادية أي لا تدركها الحواس ولكن يستدل عليها من آثارها في الواقع المحسوس ثم أكد الإسلام على المعرفة، فقد ربطها بالآخرة بحيث يصبح العلم بالشيء فضيلة مزدوجة ويصبح الإنسان مطالبًا بتخليق سلوكاته وعلاقاته الخاصة والعامة، وتصبح الحاجة إلى التعلم والعلم ضرورة دنيوية وفضيلة خلقية ، ويبقى الإنسان في التصور الإسلامي هو ذلك الكائن الاجتماعي المكون من جسد وظائفي وعقل تمييزي وحشد من العواطف والأحاسيس والرغبات المشروطة بأخلاق فاضلة ومعرفة بالذات والله تعالى والكون عامة. فالذات الإنسانية من حيث تكوينها الذاتي كائن من تراب يستمر توالده من ماء مهين ، غير أن الله سبحانه وتعالى لما شاء له أن يكون خليفة في الأرض وكلفه بعمارتها أورثه العقل والتفكير وكثيراً ما توجه آيات القرآن نظر الإنسان لكي يلتفت ويتمعن ويتأمل في أبعاد ذاته : ممّ تتكون وما العلاقة بين مكوناتها ؟ لقد تجمعت خلاصة ولب وجسم الإنسان في البداية من قطرة ماء واحدة . ولاشك أن تطور البنية المعقدة لجسم الإنسان (الذي يملك عقلاً وسمعاً وبصراً ..... يترعرع جسمه وبدنه ويكون أهلا لكي تسكن الروح (مادة وروح) ويبصر القرآن الكريم الإنسان في قوامه وتركيبه الإنساني بالحقائق التالية :

- حقيقة خلق الإنسان من طين.

- حقيقة سلالته من ماء مهين .
- حقيقة خلق الإنسان أطواراً .
- حقيقة خلق كل شيء من ماء .

المصادر :-

أولاً : المراجع العربية

الكتب

١) الرازي ، محمد أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، تحقيق شهاب الدين أبي عمر مصطفى الباز . دار الفكر بيروت / لبنان ١٩٩٣م

٢) الزندانى ، الشيخ عبد المجيد : آيات الله في خلق الإنسان – العلم طريق الإيمان [بدون]

٣) زهران ، حامد . علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، ط ٢ . القاهرة : عالم الكتب القاهرة ١٩٩٠م.

٤) شاهين ، عمر .الإسلام والصحة النفسية ، مصر [بدون]

٥) عبد الرحمن ، عائشة محمد: مقال في الإنسان دراسة قرآنية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م

٦) قطب ، محمد :دراسات في النفس الإنسانية . دار الشروق ، بيروت / ١٩٧٤م

٧) محمد ، محمد محمود : علم النفس المعاصر في ضوء الاسلام– الطبعة الاولى – دار الشروق للطباعة والنشر– جدة المملكة العربية السعودية ١٩٨٤م

٨) منصور ، طلعت وآخرون : أسس علم النفس العام . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة / ١٩٧٨

٩) موسى ، كمال إبراهيم : المدخل إلى علم الصحة النفسية – دار القلم للنشر – الكويت / ١٩٨٨م

١٠) نجاتي ، محمد عثمان : القرآن و علم النفس – الطبعة الثانية – دار الشروق ، بيروت

الدوريات:

١١) القاضي ،أحمد : اكتشاف الذات خطوة كبيرة نحو النجاح: صحيفة الهدى اسبوعية عامة – العدد الثالث عشر – ١٥ صفر لعام ١٤٢٦ هـ

١٢) القبانجي ، علاء الدين ناصر : معالم علم النفس في القرآن – مجلة النبأ – العدد٤٣ ، الاستشارات النفسية والسيكولوجية ١٩ / ١٠/١٤٢٥ هـ

١٣) القبانجي ، علاء الدين ناصر: – معالم علم النفس في القرآن – مجلة النبأ _ العدد ٤٦ – المستقبل للثقافة والأعلام – ربيع الأول ١٤٢١هـ

الدراسات والبحوث :

١٤) الربيعي ، هدى تركي : أثر البيئة الفيزيقية للصف في مفهوم الذات ، دراسة منشورة مجلة العلوم التربوية والنفسية ،المجلد الرابع العدد الثاني كلية التربية جامعة البحرين ٢٠٠٣م

١٥) الشيخ ، بدور الفاضل : تطوير مقاييس لتقدير الذات وحافز التحصيل – رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠٠٤م

١٦) بيومي محمد : تقدير الذات لدى التلاميذ ذوي التحصيل الدراسي ، من دراسات وبحوث المؤتمر الخامس لعلم النفس في مصر الذي عقدته كلية التربية جامعة طنطا ، يناير ١٩٨٩م .

١٧) صواب ، صالح يحي : القلق اسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم – دراسة منشورة – مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم – العدد الأول فبراير ٢٠٠٣م

ثانياً : مواقع الإنترنت:

١٨) مفكرة الإسلام : تقدير الذات إدارة العقل – موقع إذاعة القرآن ٢٠٠٥/٣/٢ م

١٩) ملاك المصطفى : الطبيعة الإنسانية في التصور الإسلامي –المغرب ، باب المقال الموقع العربي العملاق .

٢٠) يوسف همام : على طريق بناء الذات الإسلامية – إدارة الدراسات –شبكة المعلومات ٢٠٠٥/٤/٢م

٢١) فيلما المعايطة : تقدير الذات ، مجلة المعلم – إلكترونية ،شبكة المعلومات ، ٢٠٠٥/١/١٢م

http://www.holol.net/show_article_main.cfm?id=١٤
http://www.islamonline.net/arabic/adam/٢٠٠٣/٠٤/article١٦.shtml
http://www.almualem.net/maga/that٠٩٠.htm
http://www.annabaa.org/nba٤٦/nafs.htm
http://www.islamset.com/arabic/ahip/alkade١.html

http://www.arabpsynet.com/Books/Najati.B٧.htm
http://www.bab.com/articles/full_article١٠/٠٤/٢٠٠٥.cfm?id=٧٦١٠
http://www.islamset.com/arabic/ahip/psycho/shahen.html
http://www.quran-radio.com/edara١٥.htm
http://www.almualem.net/maga/that٠٩٠.html
http://www.jamaaway.org/esdar/book٩.htm

أحكام الكلالة في القرآن الكريم

و

السنة النبوية

الدكتور / عبده محمد يوسف .

الأستاذ المساعد بكلية التربية ــ جامعة صنعاء

ورئيس قسم القرآن وعلومه بها .

أحكام الكلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية .

د. عبده محمد يوسف
كلية التربية . جامعة صنعاء

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، واشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليما كثيراً.

أما بعد: فإن كثيرا من الناس في هذه الأيام قد زهدوا في طلب العلم الشرعي، وأغفلوا الاهتمام به، ولاسيما علم الفرائض، مع أن له فضل ومنزلة عظيمة بين سائر العلوم – وإن كانت العلوم الأخرى لها أهمية في حياة الناس– إلا أن تعلم علم الفرائض وتعليمه يجب أن يعطى الاهتمام الأكبر في حياة الناس.

كيف لا وهو العلم الذي أخبر النبي ﷺ أنه يعدل نصف العلم، بل هو أول علم ينتزع من هذه الأمة لأنه ينسى.

قال القرطبي: (فإن الفرائض عظيمة القدر حتى أنها ثُلث العلم، وروي نصفُ العلم، وهو أوّل علم يُنزع من الناس ويُنسى).[١]

فعلم الفرائض –هوعلم المواريث– يُحتاج إليه لكثرة ما تعم به البلوى، ويكون فيه من النوازل والفتوى، ولهذا حث الشارع على تعلمه ورغب فيه مخافة اندراسه. [٢]

(١) الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، ج٥، ص٥٥.

(١) انظر البحر الرائق، لابن نجيم، ج٨، ص ١٨٦.

بل عد بعض العلماء تعلم هذا العلم فرضا من فروض الدين.[١] لأن الرسول ﷺ حث على تعلمه وتعليمه الآخرين

فقال النبيّ ﷺ : (تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الرجلان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما)[٢] ولعل الحكمة في ذلك لئلا يقطعهم التشاغل بعلم ما هو أعمّ من عباداتهم المترادفة، أو معاملاتهم المتصلة، فيؤول ذلك إلى انقراض الفرائض[٣]

فعلم الفرائض له فضل كبير لأنه ينظم انتقال الملكية من الميت إلى الحي، وبذلك تصان الأموال من الضياع، ويعطى كل ذي حق حقه بعدل ومساواة من غير ظلم لأحد، لأن الله وحده العالم أين تكمن المصلحة فهو خالق

هذا الإنسان، لذلك قسم الميراث وحدد نصيب كل واحد بلا إفراط أو تفريط.

وفي هذا رد على كل من لديه شبهه أو شك في عدالة الإسلام سواءً تجاه المرأة أو غيرها، ففي أوروبا لم تمنح المرأة حق الملكية إلا قبل عشرين سنة تقريباً، بعكس الإسلام الذي أنصفها منذ اللحظة الأولى من ظلم الجاهلية، بعد أن كانت مسلوبة الحقوق والميراث.

---

(٢) انظر المهذب، الشيرازي ،المطبوع مع شرحه المجموع، ج١٧، ص٣٧.

(٣) السنن الكبرى ، البيهقي،ج٦، ص ٢٠٨. المستدرك ، للحاكم، ، ج٤، ص٣٣٣، وقال صحيح الإسناد وله علة.

(٤) انظر المجموع، النووي، ج٧، ص٤٤.

وكان للعرب في الجاهلية مواريث، كانوا يورثون الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار، ولا يعطون المال إلا لمن حمى وغزا، وكانوا يجعلون حظّ الزوجة أن ينفق عليها من مال الزوج سنة، ويورثون الأخ زوجة أخيه، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدوّ، ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده، ولا للنساء منهم، وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية، فأخبر الله جلّ ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا لصغار ولد الميت وكبارهم وذكورهم وإناثهم.(١)

وفي ابتداء الإسلام توارثوا بالحلف والتناصر، فإذا تحالف الرجلان منهم قال أحدهما لصاحبه: ذمتي ذمتك، ترثني وأرثك، ودمي دمك، وسلمي سلمك، وحربي حربك، ثم نسخه الإسلام.(٢)

شرع المولى سبحانه وتعالى الموروايث وحدد نصيب كل وارث في كتابه الكريم، ذلك الكتاب الأزلي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. مصرحاً إثر تحديده وبيانه بأنه فريضة منه، إقرارا للعدالة والمساواة، وتنظيماً لأمر خطير من أمور المجتمع الإنساني، وهو صيانة حق التملك وانتقال الملكية من الميت إلى الوارث.(٣)

(١) انظر تفسير الطبري ، جامع البيان ، ج٤ ،ص١٨٥، والمجموع، النووي، ج١٧، ص٤٤.

(٢) انظر المجموع، النووي، ج١٧، ص٤٤. والمواريث الإسلامية، أحمد كامل الخضري، ص٩. ومغني المحتاج، الخطيب الشربيني، ج٣، ص٣.

(٣) انظر المواريث الإسلامية ، أحمد كامل الخضري ، ص٩.

ثمّ دعا رسول الله ﷺ إلى تعلم الفرائض، وحثَّ على تعليمه، وبين في سنته ما أجمل في القرآن، وتبعه من بَعدِه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال القرطبي: (وإذا ثبت هذا فاعلم أن الفرائض كان جُلّ علم الصحابة، وعظيم مناظرتهم، ولكنّ الخلق ضيّعوه. وقد روى مُطَرِّف عن مالك، قال عبد الله بن مسعود: من لم يتعلم الفرائضَ والطلاق والحج فبِم يفضل أهل البادية ؟ وقال ٱبن وهب عن مالك: كنت أسمع ربيعة يقول: من تعلم الفرائض من غير علم بها من القرآن ما أسرع ما ينساها. قال مالك: وصدق).[١]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:(تعلموا الفرائض فإنها من دينكم).[٢] وروي عنه أنه قال –أيضا–: (تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القرآن).[٣] وعنه –أيضا– أنه قال: (إذا لهوتم فالهوا بالرمي، وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض).[٤]

وعن ابن مسعود قال:(من تعلّم القرآن فليتعلَّم الفرائض)[٥]. وعنه –أيضاً– قال: (تعلَّموا الفرائِضَ والطلاقَ والحجَّ، فإنَّهُ مِنْ دينِكُمْ).[٦] وعنِ الحسنِ قالَ:((كانوا

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥، ص٥٥.

(٢) سنن الدارمي، ج٢،ص٣٤١، ح رقم : (٢٨٤٨) والسنن الكبرى ، للبيهقي، ج٦، ص٢٠٩.

(٣) سنن الدارمي، ج٢،ص٣٤١، ح رقم : (٢٨٤٩) والسنن الكبرى ، للبيهقي، ج٦، ص٢٠٩.

(٤) المستدرك، للحاكم، ج٤، ص٣٣٣.

(٥) السنن الكبرى ، البيهقي،ج٦، ص ٢٠٩، المستدرك ، للحاكم، ، ج٤، ص٣٣٣.

(٦) سنن الدارمي، ج٢، ص٣٤٢، ح رقم : (٢٨٥٤).

يرغبونَ في تعليمِ القرآنِ والفرائضِ والمناسِكِ)).[١]وعن أبي موسى:((من علم القرآن ولم يعلم الفرائض، فإن مثله مثل الرأس لا وجه له، أو ليس له وجه)).[٢] واشتهر من الصحابة رضي الله عنهم بعلم الفرائض أربعة: علي ، وابن عباس ، وزيد ، وابن مسعود وقد كان أكثر مذاكرة أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم . إذا اجتمعوا: في علم الفرائض، ومدحوا على ذلك، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وأن لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)).[٣] فقد نوه بذكر زيد في علم الفرائض. وكان أفرضهم، ولعله خص بذلك لأن زيداً كان منقطعاً لعلم الفرائض بخلاف غيره، أو لأن القول تشريف له، أو لأنه أشدّ عناية وحرصاً، وأصحّهم حساباً. [٤]

بيّن الله تعالى فرض المواريث وقدّرها في الكتاب الكريم، وبيّن المستحقين لها في ثلاث آيات من سورة النساء، قد نسخ بهن جميع ما تقدّم من المواريث، وبيّن ما كان مرسلاً، وفسّر ما كان مجملاً، وقدّرت الفرائض ما كان مبهماً، ثم بيّن رسول

(١) سنن الدارمي، ج٢، ص٣٤٢، ح رقم : (٢٨٥٥).

(٢) سنن الدارمي، ج٢، ص٣٤١، ح رقم : (٢٨٥٢).

(٣) سنن ابن ماجه ص٥٦، ح رقم (١٥٤) . وسنن الترمذي، ص١٠٦٥، ح رقم (٣٨١٦).والحديث صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ج٣، ص٢٢٣، برقم: (١٢٢٤)

(٤) انظر المجموع، النووي، ج١٧، ص٤٤.

الله ﷺ بسنته ما احتيج إلى بيانه. قال قتادة: وذكر لنا أن أبا بكر الصديق قال في خطبته: (ألا إن الآية التي نزلت في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد، والآية الثانية: أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت الرحم من العصبة).[١]

والملاحظ هذه الأيام جهل كثير من الناس بهذا العلم، وعدم اهتمامهم به، وإعطائه منزلته ومكانته الحقيقية، وهذا ما دفع الباحث إلى القيام بعمل بحث، في فرع من فروع هذا العلم والموسوم بـ: (أحكام الكلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية)، مساهمة منه في نشر الوعي لدى الناس ، ولفت أنظار طلاب العلم وغيرهم في إعطاء هذا العلم حقه من الاهتمام–هذا من جانب– ومن جانب آخر فإن موضوع الكلالة من الموضوعات المشكلة، التي تحتاج إلى معرفة المراد منها، ومعرفة الأحكام المتعلقة بها.

كما أن أهمية هذا البحث تنبع من موضوعه وعنوانه، لأنه بحث مرتبط بأحكام القرآن الكريم، بل عد بعض العلماء معرفته من أهم العلوم بعد معرفة أركان الدين.[٢]وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي :

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص ٥٣٦.

(٢) انظر المبسوط ، السرخسي، ج٢٩، ص ١٣٥.

المبحث الأول: الكلالة في القرآن والسنة ، وتعريفها ، وأقوال العلماء فيها.ويحتوي على أربعة مطالب :

- **المطلب الأول**: الكلالة في القرآن والسنة.
- **المطلب الثاني:** معنى الكلالة لغة واصطلاحاً.
- **المطلب الثالث:** أقوال العلماء في المراد بالكلالة في الآيتين.(١٢و١٧٦من سورة النساء).
- **المطلب الرابع:** الكلالة اسم لمن في قوله: (وإن كان رجل يورث كلالة) وسبب الاختلاف في ذلك.

المبحث الثاني: آية الشتاء والأحكام المتعلق بها، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** المراد بالإخوة في قوله تعالى: (وله أخ أو اخت).
- **المطلب الثاني:** كيف يرث الإخوة المذكورون في الآية .
- **المطلب الثالث:** متى يحرم الأخوة لأم من الميراث ؟

المبحث الثالث: آية الصيف والأحكام المتعلقة بها، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** ما المراد بالولد في قوله: (ليس له ولد ٠٠ إن لم يكن لها ولد) ولماذا لم يذكر الوالد مع أنه يحجب الأخوة.
- **المطلب الثاني:** ما المراد بالأخوة في الآية وكيف يرثون.
- **المطلب الثالث:** مسائل في الإرث كلالة.

١) المسألة المشتركة.(هل يرث الأخوة لأب وأم مع الأخوة لأم عند اكتمال الفريضة)

٢) كيف ترث الأخوات مع البنات ؟

أسأل من الله أن يوفقنا إلى كل خير، وبه نستعين على أمور الدنيا والدين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المبحث الأول

الكلالة في القرآن والسنة، وتعريفها ، وأقوال العلماء فيها، وفيه أربعة مباحث:

لقد ورد لفظ الكلالة في القرآن الكريم في موضعين من سورة النساء. أما السنة النبوية فقد ورد بها لفظ الكلالة في كثير من الأحاديث، وفي هذا المبحث نلقي الضوء حول ورود الكلالة في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم نتطرق إلى معنى الكلالة لغة واصطلاحا، وأقوال العلماء في المراد من الكلالة ، وعلى من يطلق مسمى الكلالة، خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الكلالة في القرآن والسنة.

أولا: الكلالة في القرآن الكريم.

قال أهل العلم: إن الله تعالى انزل في الكلالة آيتين إحداهما: في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء آية (١٢) والأخرى: في الصيف وهي الآية (١٧٦) من سورة النساء ولهذا تسمى بآية الصيف.(١)

فورد لفظ الكلالة في القرآن الكريم في موضعين من سورة النساء وهما:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي ، ج٦ ، ص١٢٢.

وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٢). وهذه تسمى آية الشتاء.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء: ١٧٦). وهذه تسمى آية الصيف. فأنزل الله في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء وهي في أوّل سورة النساء، والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها.(١)

ثانيا: الكلالة في السنة.

لقد ورد ذكر لفظ الكلالة في عديد من الأحاديث النبوية، نذكر منها الآتي:

١. عن سفيان قال: سمعت محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ثم عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض، ومعه أبو بكر ماشيين، فوجدني قد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، فإذا رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي ؟ فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث. : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ (٤ النساء الآية:

(١) انظر تفسير البغوي، معالم التنزيل، ج١، ص٤٠٤.

١٧٦).[١] ويؤيد ذلك ما ورد في الرواية الأخرى عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ثم دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصب علي من وضوئه، فعقلت فقلت: يا رسول الله إنما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث، فقلت لمحمد بن المنكدر ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ قال هكذا أنزلت.[٢]

٢. وقد ورد في سبب نزولها: ما رواه جابر بن عبد الله قال: مرضت وعندي تسع أخوات لي، فدخل علي رسول الله ﷺ، فنضح في وجهي من الماء، فأفقت فقلت: يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلثين ؟ قال: أحسن قلت : بالشطر؟ قال: أحسن، ثم خرج وتركني، ثم رجع فقال لا أراك ميتاً من وجعك هذا، فإن الله أنزل الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين. وكان جابر يقول: نزلت في هذه الآية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء:١٧٦). [٣]

٣. ثبت أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ ، وذكر أبا بكر، ثم قال: ثم إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١ص ٤٧ ، ح رقم: (٤٠٩٩)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١، ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠٠).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الفرائض ، باب من ليس له ولد وله أخت، ح رقم: (٢٨٨٧)، ج ٣، ص١١٩. والحديث صححه الألباني، في صحيح سنن أبي داوود، ج٢، ص٥٥٩، برقم: (٢٥١٠).

لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: ((يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء)) وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن. (١) ولعل النبي ﷺ إنما أغلظ له لخوفه من اتكاله واتكال غيره على ما نص عليه صريحاً، وتركهم الاستنباط من النصوص، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ .(النساء: ٨٤) فالاعتناء بالاستنباط من آكد الواجبات المطلوبة، لأن النصوص الصريحة لا تفي إلا بيسير من المسائل الحادثة، فإذا أهمل الاستنباط فات القضاء في معظم الأحكام النازلة أو في بعضها.(٢) وقوله ألا تكفيك آية الصيف ؟ أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين إحداهما: في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والأخرى: في الصيف، وهي التي في آخرها ، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء، فلذلك أحاله عليها.(٣)

٤. عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول: ثم آخر آية أنزلت آية الكلالة، وآخر سورة أنزلت براءة.(٤)

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١،ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠١).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١١، ص٤٦.
(٣) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤.
(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١،ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠٢).

٥. وفي رواية للبخاري عن أبي إسحقَ عن البراءَ رضي الله عنه قال: آخر آيةٍ نزلتْ خاتمة سورةِ النساءِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦). [١]

٦. وعن جابر بن عبد الله قال: مرضت، فأتاني النبي ﷺ، يعودني هو وأبو بكر وهما ماشيان، فوجدوني قد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أقمتني في مالي، أو كيف أصنع في مالي: وكان له تسع أخوات ولم يكن له والد ولا ولد قال: فلم يجبني شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦) [٢].

٧. وعن البراء بن عازب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله يستفتونك في الكلالة ما الكلالة ؟ قال: (تجزيك آية الصيف) فقلت لابن اسحاق: هو من مات ولم يدع ولدا ولا والدا قال: كذلك ظنوا أنه كذلك.[٣]

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب يستفتونك، ج١٣، ص٥١٣ ، ح رقم: (٦٥٩٦).

(٣) سنن الترمدي، كتاب الفرائض ، باب ميراث الأخوات ح رقم: (٢١٠٤)، ص٦١١.وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٢، ص٤٢٠.

(١) سنن أبي داود، كتاب الفرائض ، باب من ليس له ولد وله أخت،ح رقم: (٢٨٨٩)، ج٣، ص١٢٠. الحديث صححه الألباني، في صحيح سنن أبي داوود، ج٢، ص٥٦٠، برقم: (٢٥١٢).

قال ابن كثير : ((وكأن المراد بآية الصيف أنها نزلت في فصل الصيف، والله أعلم)).[١]

٨. وعن عمر رضي الله عنه قال: ((ثلاث لأن يكون رسول الله ﷺ بينهن أحب إلي من الدنيا وما فيها : الكلالة، والربا، والخلافة)).[٢]

٩. وعن عمرو بن دينار قال: سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب، قال: لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم: من الخليفة بعد؟ وعن قوم قالوا: نقر بالزكاة في أموالنا ولا نؤديها إليك، أيحل قتالهم ؟ وعن الكلالة.[٣]

ومما سبق يتبين لنا أن لفظ الكلالة لم يرد في القرآن إلا في آيتين فقط، أما في السنة النبوية فقد ورد لفظ الكلالة في عدد من الأحاديث. ولكن ما المعنى المراد من لفظ الكلالة ؟ وما الأحكام المتعلقة بها ؟ هذا ما سوف نبينه في الآتي:

المطلب الثاني

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٥٣٦.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الفرائض ، باب الحث على تعلم الفرائض، ح رقم: (٢٧٢٧)، ص٦٣٢.

(٤) المستدرك ، للحاكم، ، ج٤، ص٣٣٣. ثم قال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

معنى الكلالة لغة واصطلاحاً.

أولاً: معنى الكلالة في اللغة.

الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو: ذهاب القوة من الإعياء. وكللت من المشي وكَلَّ كلالةً أي أعيي . والكل: اليتيم. [١]كلَّ : كلولاً وكلالة: ضعف وكل فلان: تعب فهو كالُ. ويقال: كل السيف ونحوه: لم يقطع فهو كليل.[٢] والكلالة في اللغة تحمل عدة معاني منها:

- الكَلّ : الذي لا ولد له ولا والد.[٣] وكلالة: لم يخلف والداً ولا ولداً يرثه بل يرثه ذو قرابته.[٤] فهو مصدر من تكلله النسب أي تطرفه، كأنه أخذ طرفيه من جهة الولد والوالد وليس له منهما أحد فسمي بالمصدر. فالكلالة من سقط عنه طرفاه وهما: أبوه وولده فصار كلا وكلالة أي عيالاً على الأصل. والعرب تقول: لم يرثه كلالة، أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق. [٥]

(١) انظر الصحاح، الجوهري، ج٢، ص٢٧٤، ولسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢٨٩ ، مادة (كَلَلَ).
(٢) انظر المعجم الوسيط (٢.١)، ص٧٩٦.
(٣) الصحاح، الجوهري، ج٢، ص ٢٧٤ .
(٤) المعجم الوسيط ،(٢.١) ، ص٧٩٦.
(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢٨٨، مادة (كَلَلَ).

- وقيل الكلالة: بنو العم الأباعد. والعرب تقول: هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالة، إذا كان رجلاً من العشيرة[١] فالكلالة مشتقة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه.[٢] وبه سمي الإكليل وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا احتل بها، ومنه الإكليل –أيضاً– التاج.
- وقيل: الكلالة من تكلل نسبه بنسبك كابن العم ومن أشبهه. وقيل: هم الأخوة لأم وهو المستعمل .[٣]
- وقيل الكلالة: كل ميت لم يرثه ولد أو أب أو أخ، ونحو ذلك من ذوي النسب.
- وقيل الكلالة: ما خلا الولد والوالد. سموا كلالة: لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من تكلله الشيء إذا استدار به، فكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد له فهو كلالة موروثه.[٤]

ثانياً: معنى الكلالة اصطلاحا.

وكما جاء لفظ الكلالة في اللغة على عدة معاني، فقد اختلف العلماء في تعريف الكلالة اصطلاحا إلى عدة أقوال منها:

---

(١) الصحاح، الجوهري، ج٢ ، ص ٢٧٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٦.

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢٨٨، مادة (كَلَلَ).

(٤) انظر المصباح المنير، البيومي ، ص٥٣٨ ولسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢٨٩ ،مادة (كَلَلَ).

١. الكلالة : الرجل الذي لا ولد له ولا والد أي ما خلا الولد والوالد.[١]
٢. الكلالة : من ليس له ولد ولا والد، وله إخوة، لأن الكلالة مشتق من الإكليل؛ وهو الذي يحيط بالرأس من الجوانب، والذين يحيطون بالميت من الجوانب الإخوة، فأما الوالد والولد فليسا من الجوانب، بل أحدهما من أعلاه والآخر من أسفله.[٢]
٣. وقيل الكلالة: اسم لما عدا الوالد والولد من الورثة. [٣]
٤. وقيل الكلالة: الذي لا ولد له ولا والد، لا أب ولا جد، ولا ابن ولا ابنة، فهؤلاء الإخوة من الأم.[٤]
٥. وقيل الكلالة: من مات رجلاً أو امرأة في حالة تكلله نسب ورثته أي: لا والد له ولا ولد وله أخوة أو أخوات أو أخ أو أخت أو أحدهما أضياف، أو أعيان، أو أولاد علات [٥] .

(١) انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٥٩. والمهذب، الشيرازي، المطبوع مع شرحه المجموع، ج١٧ ص١٢٥. والمبسوط ، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١.والمنتقى شرح الموطأ ، الباجي، ج٦، ٢٢٨.
(٢) انظر المهذب الشيرازي، المطبوع مع شرحه المجموع، ج١٧، ص١٢٣.
(٣) التعريفات، الجرجاني، ج١، ص ٦٠٧.
(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، ج٤، ص١٩٢.
(٥) بنو الأعيان: وهم الأخوة والأخوات لأب وأم، سموا بذلك لأن عين الشيء أتم ما يكون منه، وتمام الاتصال من الجانبين في حقهم، وبنو العلات وهم: الأخوة والأخوات لأب. وبنو الأحياف: وهم الأخوة والأخوات لأم، سموا بذلك من قولهم فرس أحيف إذا كانت إحدى عينيه زرقا، والأخرى كحلا فنسب =بإحدى عينيه

ومن هذه التعريفات يمكن القول بأن أقرب التعريفات للصواب التعريف الأخير، لأنه يتصف بالشمول، حيث شمل المقصود من التعريفات الأخرى واحتوى على المعنى المراد منها، فهو تعريف جامع مانع.

المطلب الثالث

أقوال العلماء في المراد بالكلالة في الآيتين.

اختلف العلماء في تفسير الكلالة في آيتي(١٢و١٧٦ من سورة النساء)، ويمكن بيان أقوالهم في المراد من الكلالة على النحو الآتي:

١. قال الجمهور: إن الكلالة ما عدا الولد والوالد، وهذا قول أبي بكر وعلي وزيد وابن مسعود رضي الله عنهم ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك. فعن جابر عن عامر عن أبي بكر قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.(١)

قال الشوكاني: هذا قول أبي بكر وعمر وعلي وجمهور العلماء. (٢) وقال ابن حجر والكلالة: من لم يرثه أب ولا ابن، هو قول أبي بكر الصديق، أخرجه بن

إلى شيء، وبأخرى إلى شيء آخر، فحال الأخوة والأخوات لأم كذلك،إذا كانت أمهم واحده والآباء شتى . (المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١).

(١) انظرالحاوي الكبير في فقه الأمام الشافعي، الماوردي، ج٨ ، ص٩٢ . والمغني، ابن قدامة، ج٨،ص٣٦١ انظر لمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١. والمهذب، الشيرازي ج١٧ ص١٢٣، والشرح الكبير، للمقدسي، ج٨، ص٣٦٤، والجامع لأحكام، القرطبي، ج٥ ص٥٥، المدونة، ج٣ ،ص١٠٤٤، تفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨. وفتح القدير ، الشوكاني، ج١، ص٤٩٩.

(٢) فتح القدير ، الشوكاني، ج١، ص٤٩٩.

أبي شيبة عنه، وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن شرحبيل قال: ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك وهذا إسناد صحيح. (١) بل نقل ابن كثير- رحمه الله - الإجماع في ذلك فقال:((وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة، وهو قول الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور السلف والخلف بل جميعهم، وقد نقل الإجماع غير واحد)).(٢)فمذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد له، وروي عن الشعبي قال: سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة فقال:إني سأقول فيها قولاً برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد، فلما استخلف عمر رضي الله عنهما قال: إني لأستحيي من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر رضي الله عنه.(٣)

عن الشعبي: أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالا: الكلالة من لا ولد له ولا والد.(٤)

عن طاوس، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر، فسمعته يقول: القول ما قلت قال: وما قلت، قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.(١)

(١) فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨.

(٢) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(٣) انظر تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤. وتفسير الطبري،ج٤، ص١٩٢. وتفسير القران العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(٤) انظر تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦، أحكام القرآن،الجصاص، ج١، ص٨٦.

وحجة هذا القول: مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله ، لأن الآية نزلت فيه ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦). ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن ، لأن أباه عبد الله بن حرام قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عُمر النبي ﷺ ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه.(٢)

٢. وقال آخرون الكلالة: ما سوى الولد وهذا قول ابن عباس. وقالت طائفة: وروي عن أبي بكر وعمر ثم رجعا عنه إلى القول الأوّل وزاد البعض وولد الولد .(٣) قال طاووس: الكلالة من لا ولد له ، وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأحد القولين عن عمر رضي الله عنه. واحتج من ذهب إلى هذا بقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ (النساء١٧٦).(٤)

وبناء على هذا القول فالإخوة من الأم يرثون مع الأبوين. فقد روى طاوس عن ابن عباس : أنه ورث الإخوة من الأم السدس مع الأبوين .(٥)إلا أن ابن كثير يرى أن القول الصحيح عن ابن عباس أنه قال في الكلالة أنه من لا ولد له ولا والد، فقال:

---

(١) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(٢) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٥، وص٦٢٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص.٢٦٨، وشرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣. والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج٣، ص٥٤٦ .

(٤) انظر تفسير البغوي،ج١، ص٤٠٤. تفسير الطبري ج٤، ص١٩٢.

(١) تفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦.

وقيل: أنه روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك، وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول، ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد .[١]

٣. وقيل الكلالة: ما سوى الوالد، عن شعبة قال: سألت الحكم عن الكلالة قال : مفهوماً دون الأب .[٢]

وقد ضعف بعض العلماء هذين القولين: قال ابن عطية: إن القولين ضعيفان، لأنّ من بقي والده أو ولده فهو موروث بنسب لا بتكلل. وأجمعت الأمة على أنَّ الأخوة لا يرثون مع ابن ولا أب، وعلى هذا مضت الأعصار والأمصار.[٣]

٤. وقيل الكلالة: كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ، فهو عند العرب كلالة قاله أبو عبيده. وقد رد ابن عبد البر على من يقول بإضافة الأخ إلى اسم الكلالة مغلطا هذا القول فقال: ذكر أبو عبيدة الأخ هنا مع الأب والابن في شرط الكلالة غلط لا وجه له، ولم يذكره في شرط الكلالة غيره، وما يروى عن أبي بكر وعمر من أن الكلالة من لا ولد له خاصة فقد رجعا عنه.[٤]

٥. وقال البعض الكلالة: الحي والميت جميعاً.[٥] قال ابن عبد البر: وأما الآية التي في آخرسورة النساء

---

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(٣) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦.

(٤) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج٣، ص٥٤٦ ..

(١) انظر فتح القدير ، الشوكاني، ج١، ص٤٩٩. وأحكام القران، بن العربي،ج١،ص٤٤٨.

(٢) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا﴾ إلى قوله ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ (آية:١٧٦) فلم يختلف علماء المسلمين قديمًا وحديثا أن ميراث الإخوة للأم ليس هكذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في هذه الآية هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه، ودلت الآيتان جميعًا أن الإخوة كلهم كلالة، إذا ورثوا المتوفى والحي الذي ليس بولد الميت ولا والد وهو يرثه، هذا يورث بالكلالة، وهذا يرث بالكلالة.(١)

٦. وقيل الكلالة: بنو العم الأباعد.(٢) عن الشعبي قال: الكلالة ما كان سوى الوالد والولد من الورثة، إخوة أو غيرهم من العصبة. كذلك قال: علي، وابن مسعود، وزيد ابن ثابت.(٣)

٧. وقيل: هم الإخوة. وقيل: الإخوة من الأم.(٤) فعن قتادة قوله : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ (النساء:١٧٦) ، والكلالة الذي لا ولد له ولا والد، لا أب ولا جد، ولا ابن ولا ابنة، فهؤلاء الإخوة من الأم.(٥)

(٣) التمهيد، ابن عبد البر، ج٥، ص١٨٢.
(٤) أحكام القران، بن العربي، ج١، ص٤٤٨.
(٥) الدر المنثور، السيوطي، ج٢ ص٤٤٨.
(١) انظر فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨ شرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣.
(٢) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٥، ص٦٢٦.

وإنما سموا القرابة كلالة لأنهم أطافوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم، بخلاف الابن والأب فإنهما طرفان له، فإذا ذهبا تكلله النسب.(١)

ومما سبق يتبين لنا أن العلماء اختلفوا في معنى الكلالة اختلافا كبيرا، وهذا يدعم ما ذهب إليه عمر بن الخطاب ﷺ عنه والذي صح عنه قوله: لم أقل في الكلالة شيئا.(٢) لكثرة ما أشكل عليه أمرها.

وما ورد عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ الجهنيّ أَنَّهُ قالَ: ما أعضلَ بأصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ شيءٌ مَا أعضلَتْ بهم الكلالةُ.(٣)

إلا أن الراجح في المسألة ما ذهب إليه جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، من أن الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

وحجتهم في ذلك حديث جابر بن عبد الله ، لأن الآية نزلت فيه(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ) (النساء: ١٧٦). ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن ، لأن أباه عبد الله بن حرام قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه.(٤)

المطلب الرابع

(٣) فتح القدير ، الشوكاني، ج١، ص٤٩٩.

(٤) انظر فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨، شرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣.

(٥) انظر سنن الدارمي، ج٢، ص٣٦٦، ح رقم: (٢٩٧٢). والدر المنثور، السيوطي، ج٢ ص٤٤٨.

(١) تفسير، البغوي، ج١، ص٤٠٤.

الكلالة اسم لمن في قوله تعالى: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً)

وسبب الاختلاف في ذلك.نتيجة لاختلاف العلماء في المعنى المراد من الكلالة، فقد اختلفوا في المسمى كلالة إلى عدة أقوال منها:

١. منهم من قال:أن الكلالة اسم للميت، أي الموروث وهو الميت نفسه، وهو قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما.[١] وقال الأزهري سمي الميت الذي لا والد له ولا ولد كلالة.[٢] وقال عمر وابن عباس: الكلالة الميت الموروث[٣] .

فالكلالة اسم للميت الذي ليس له ولد ولا والد. فهو مصدر من تكلله النسب أي أحاط به، والأب والابن طرفا الرجل فيسمى لذهاب طرفيه كلالة.[٤] ويؤيد هذا القول قراءة (يُورث) أي يورث منه فيكون هو الموروث لا الوارث.[٥] وبه قال أبو بكر وعلي وزيد وابن مسعود ﷺ، وإليه مال الشافعي لأن الله تعالى قال: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ) فجعل ذلك صفة للموروث، ولو كانت صفة للوارث لقال: (وإن كان رجل يرثه كلالة)، ولأنه يقال عقيم لمن لا

(٢) انظرأحكام القرآن،الجصاص، ج١، ص٨٦. وتفسير، البغوي، ج١، ص٤٠٤، وتفسير الطبري ج٤، ص٦٢٨ .

(٣) انظر فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨ شرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣

(٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان ،ج٣، ص٥٤٦ .

(١) تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم، ج١ ، ص٢٧٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج٣، ص٥٤٦ .

ولد له، ويتيم لمن لا والد له، وكلالة لمن لا ولد له ولا والد. [١]فظاهر الآية وقول من ذكر من الصحابة يدل على أن الميت نفسه يسمى كلالة، لأنهم قالوا الكلالة: من لا ولد له ولا والد، وقال بعضهم الكلالة: من لا ولدله، وهذه صفة الموروث الميت، لأنه معلوم أنهم لم يريدوا أن الكلالة هو الوارث الذي لا ولد له ولا والد، إذا كان وجود الولد والوالد للوارث لا يغير حكم ميراثه من موروثه، وإنما يتغير حكم الميراث بوجود هذه الصفة للميت الموروث. [٢]

٢. ومنهم من قال:إن الكلالة اسم للورثة، فالكلالة الورثة، وهو قول سعيد بن جبير، لأنهم يتكللون الميت من جوانبه ، وليس في عمود نسبه أحد ، كالإكليل يحيط بالرأس ووسط الرأس منه خال ، وعليه يدل حديث جابر رضي الله عنه حيث قال:إنما يرثني كلالة، أي : يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد.[٣] وقيل: الورثة بجملتهم كلهم كلالة.[٤]وهذا القول ذهب إليه أحمد بن حنبل فقد جاء في المغني: فقيل: الكلالة اسم للورثة ما عدا الوالدين والمولودين . نص أحمد على هذا، وهو ما يراه فقهاء الحنفية. [٥]

---

(٣) الحاوي الكبير في فقه الأمام الشافعي ﷺ عنه، ج٨، ص٩٢.

(٤) أحكام القرآن،الجصاص، ج١، ص٨٦.

(١) انظر تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤ . وفتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨،وشرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، ج٣، ص٥٤٦ .

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، ج٣، ص٥٤٦ .

(٣) انظر المغني، ابن قدامة،ج٨، ص٣٦٢، والمبسوط ،السرخسي، ج ٢٩ ، ص١٥١ .

وحجة هذا القول: قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ أي يستفتونك عن الكلالة، وإنما يستقيم الاستفتاء عن ورثة ليس فيهم ولد ولا والد،فأما إذا سئل عن ميت ليس له ولد ولا والد لا يفهم بهذا السؤال شيء، والآية قُرئت بالنصب بيورث، وبالكسر يورثه، والقراءة بالكسر دليل على أن الكلالة اسم للورثة.

وتأويل القراءة بالنصب ما أشرنا إليه أن اسم الكلالة يتناول الورثة ويتناول الميت، كاسم الأخ يتناول كل واحد منهما: ثم قد ثبت بالسنة أن المراد بالكلالة الورثة، عن أبي هريرَةَ عن النبي ﷺ قال: ((مَن تركَ مالاً فَلوَرَثَته ومن تركَ كَلاًّ فإلينا)).[١] يعني كلالة.[٢]

فالكلالة اسم للورثة ما عدا الوالدين والمولودين، نص عليه أحمد بن حنبل ، روي عن الصديق، وقاله زيد وابن عباس وجابر بن زيد، وأهل المدينة، والبصرة، والكوفة واحتجوا بقول الفرزدق في بني أمية:

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم.

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الفرائض، باب ميراث ابني عم أحدهما أخ لأم، ج١٣، ص٥٤١، ح رقم: (٦٦١٥).

(٢) المبسوط ،السرخسي، ج ٢٩ ، ص١٥١ .

واشتقاقه من الإكليل الذي يحيط بالرأس، ولا يعلو عليه، فكأن الورثة ما عدا الوالد والولد، قد أحاطوا بالميت من حوله، لا من طرفه أعلاه وأسفله كإحاطة الإكليل بالرأس، فأما الولد والوالد، فهما طرفا الرجل، فإذا ذهبا كان بقية النسب كلالة[١]

٣. وذهب آخرون إلى الجمع بين القولين السابقين فقالوا : بل الكلالة الميت والحي جميعاً، فالكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد، والحي، كلهم كلالة، هذا يرث بالكلالة، وهذا يورث بالكلالة. [٢]وهو ما أوضحه صاحب روح المعاني:[٣] عند تفسير قوله تعالى: (يورث كلالة) فذكر أنها تطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً، وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين، بمعنى ذي كلالة، كما تطلق القرابة على ذوي القرابة، وجعل ذلك بعضهم من باب التسمية بالمصدر وآخرون جوزوا كونها صفة.

٤. وقيل الكلالة: اسم للمال، عن عطاء: الكلالة هي المال.[٤] قال ابن العربي: وهذا قول ضعيف لا وجه له.[٥] بل اعتبره بعض العلماء قولاً شاذاً .فقالوا: وروي عن عطاء قول شاذ، قال: إن الكلالة المال[٦].

---

(٣) انظر المبدع شرح المقنع، ابن مفلح الدمشقي، ج٦، ص١٤١.

(٤) انظر تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٧ .

(١) روح المعاني، الألوسي ، ج٣، ص٣٥٨ .

(٢) انظر تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤. وفتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨ .وشرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣، زاد المسير في التفسير، ابن الجوزي، ج١، ٣٦٥.

(٣) أحكام القران، ابن العربي، ج١، ص٤٥١.

(٤) التمهيد ، لابن عبد البر ، ج٥ ، ص١٨٢.

٥. وسمي الإرث كلالة [١] وقال الحسن بن على المغزى : أصل الكلالة عندي ما تركه الإنسان وراء ظهره أخذاً من الكل وهو الظهر والقضاء. إلا أن بعض العلماء يرى أن استعمالها في مال الموروث استعمال غير شائع.[٢]

٦. وقيل الكلالة: اسم للفريضة وقيل: اسم للورثة والمال.[٣]

٧. وقيل الكلالة: اسم لبني العم ونحوهم. وقيل: اسم للعصبات وإن بعدوا[٤]. قال مالك: ((كل من ترك ولدا ذكرا أو ابنا ذكرا فإنه لم يورث كلالة، وإن ترك ابنة أو ابنتين، فإن البنتين ليستا بكلالة، والذي ورث معهما كلالة)).[٥]

ومما سبق يتبين لنا أن العلماء اختلفوا في المسمى كلالة اختلافا كبيرا، وهذا لا غرابة فيه، لأن مسألة الكلالة اختلف فيها الصحابة وأشكل عليهم أمرها، ولكثرة الاختلاف فيه صح عن عمر أنه قال: لم أقل في الكلالة شيئا.[٦]

وقد ورد أنه سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال: ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة ؟ وما أعضل بأصحاب النبي ﷺ شيء ما أعضلت بهم الكلالة.[١]

---

(٥) انظر فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨. وشرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣.

(٦) روح المعاني ، الألوسي، ج٣، ص٣٥٨

(٧) انظرالمحيط في التفسير لأبي حيان،ج٣،ص٥٤٦. وفتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨. وشرح الزرقاني، ج٣،ص١١٣.

(١) انظر زاد المسير في التفسير، ابن الجوزي،ج١، ٣٦٥،وفتح الباري،ابن حجر،ج٨، ص٢٦٨.وشرح الزرقاني،ج٣، ص.١١٣

(٢) التمهيد ، لابن عبد البر، ج٥، ص١٨٢.

(٣) انظر فتح الباري، لابن حجر، ج٨، ص٢٦٨.و شرح الزرقاني، ج٣، ص١١٣.

وبالنظر في الأقوال السابقة يمكن لنا القول بأن الأقوال (الرابع والخامس والسادس) تدور حول مقصود واحد، وهو أن الكلالة اسم للمال، والمقصود من المال: الإرث أو الفريضة التي يتركها الميت لورثته، أي أن هذه الأقوال الثلاثة المذكورة بمعنى واحد. وهي أقوال ضعيفة كما وصفها بعض العلماء. (٢)

أما بقية الأقوال فيرى بعض العلماء أنه يمكن إطلاق الكلالة على جميعها ، يقول صاحب الكشاف: ((إن الكلالة تطلق على ثلاثة: على من لم يخلف ولداً ولا والداً، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد)).(٣)

وهو ما أوضحه صاحب الوسيط في التفسير: فقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾، كل من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلالة ورثته، وكل وارث ليس بوالد للميت فهو كلالة موروثه، فالكلالة اسم يقع على الوارث والموروث إذا كان بالصفة التي ذكرنا يقال: رجل كلالة، وامرأة كلالة، وقوم كلالة، لا تثنى ولا تجمع لأنه مصدر كالدلالة والوكالة.(٤)

---

(٤) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٥.

(٥) انظر أحكام القران، ابن العربي، ج١، ص٤٥١.

(١) الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٤٨٥.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبي الحسن النيسابوري، ج١، ص٢٣.

ولعل الراجح من هذه الأقوال ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن الكلالة اسم للورثة، وهو ما رجحه الطبري حيث قال[١]: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء، أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده، لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال: قلت يارسول الله إني يرثني كلالة فكيف بالميراث ؟ [٢]

سبب الاختلاف في مسمى الكلالة :

ولعل الاختلاف في مسمى الكلالة هو ناتج من اختلافهم في القراءة في قوله تعالى: (يُورَثُ كَلَٰلَةً) وهو ما أوضحه الإمام الشوكاني حيث قال: وبالجملة فمن قرأ (يُورَثُ كَلَٰلَةً) بكسر الراء مشددة وهم بعض الكوفيين أو مخففة، وهما الحسن وأيوب، جعل الكلالة القرابة، ومن قرأ (يُورَثُ) بفتح الراء وهم الجمهور احتمل أن يكون الكلالة الميت، واحتمل أن يكون القرابة. وقد روي عن علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس والشعبي أن الكلالة ما كان سوى الولد والوالد من الورثة.[٣]

(٣) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٧ .
(٤) سبق تخريجه .
(١) فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٥٠١.

هو ما أوضحه ابن عبد البر حيث قال: وقد قرأ بعض الكوفيين (يورِّث) كلالة بكسر الراء وتشديدها. وقرأ الحسن وأيوب: يورِث . بكسر الراء وتخفيفها . على اختلاف بينهما. فمن قرأ: يورَث، بفتح الراء، قال: هو الميت يورث كلالة، وجعل نصب الكلالة على المصدر. ومن قرأ: يورِث كلالة . بكسر الراء، جعل الكلالة الورثة. ومن حجة من قال بهذا القول مع هذه القراءة حديث جابر الذي تقدم ذكره.(١)

المبحث الثاني

آية الشتاء والأحكام المتعلق بها

نقصد بآية الشتاء الآية التي ذُكرت فيها الكلالة في أول سورة النساء وهي: قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.(النساء:١٢). لأن الآية التي ذكرت فيها الكلالة في آخر سورة النساء، تسمى آية الصيف.

(٢) انظر التمهيد ، لابن عبد البر، ج٥، ص١٨٢.

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ ، وذكر أبا بكر، ثم قال: ثم إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري، وقال: ((يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء) وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن. (١)

فقوله ((ألا تكفيك آية الصيف؟))أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين إحداهما: في الشتاء، وهي التي في أول سورة النساء، والأخرى: في الصيف، وهي التي في آخرها ، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء، فلذلك أحاله عليها.(٢)

وفي هذا المبحث سوف نبين المعنى المراد من هذه الآية، والأحكام المتعلقة بها وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول

المراد بالإخوة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ .

الأصل في توريث الإخوة والأخوات آيتان من كتاب الله تعالى إحداهما: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ (النساء: ١٢) معناه أخ أو أخت لأم، هكذا في قراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وتسمى هذه الآية: آية

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١،ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠١).

(٢) تفسير البغوي، ج١، ص٥٠٤.

النساء؛ لأنها في النساء نزلت، والثانية: قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦) إلى آخر السورة، والمراد الأخوة والأخوات لأب وأم، أو لأب، هكذا قاله الصديق ﷺ على منبر رسول الله ﷺ وتسمى هذه الآية آية الصيف؛لأن نزولها كان في الصيف [١]

أما المراد بالأخوة في قوله تعالى : (وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) فمن خلال الرجوع إلى أقوال المفسرين والعلماء في المراد بالإخوة في قوله تعالى : (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) (النساء: ١٢) وُجد أنهم مجمعون على أن الإخوة في الآية هم الإخوة لأم. [٢]

قال القرطبي: أجمع العلماء أن الإخوة ها هنا هم الإخوة لأم، ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأم أو للأب ليس ميراثهم هكذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في قوله تعالى: (وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ) هم الإخوة لأبوين أو لأب.[٣]

وهذا الإجماع الذي ذكره القرطبي ذكره أيضا صاحب بحر العلوم عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ من الميراث ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ

(١) انظر المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١.

(٢) انظر الروض المربع، البهوتي، ص٣٣٤.

(١) الجامع لأحكام القران، القرطبي، ج٥، ص٥٧.

فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ فقال: يعني: الإخوة من الأم، وقد أجمع المسلمون أن المراد ها هنا الإخوة من الأم، لأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين، ففهموا أن المراد ها هنا الإخوة من الأم. (١)

فذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين، ولم يذكر في كلا الموضعين وارثًا غير الإخوة، فأما الآية التي في صدر سورة النساء: قوله ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾(النساء:١٢) فقد أجمع العلماء أن الإخوة في هذه الآية عنى بهم الإخوة للأم ولا خلاف بين أهل العلم، وأن الإخوة للأب والأم أو للأب ليس ميراثهم هكذا. وقد روي عن بعض الصحابة أنه كان يقرأ: وله أخ أو أخت من أم. فدل هذا مع ما ذكرنا من أجماعهم على أن المراد في هذه الآية، الإخوة للام خاصة.

والدليل على ما ذكر ما يلي:

١. القراءة المنسوبة إلى سعد بن أبي وقاص والتي رواها عنه أكثر من واحد، أنه كان يقرأ (وله أخ أو أخت من أم).(٢) عن القاسم، عن سعد أنه كان يقرأ:

(٢) تفسير السمرقندي، بحر العلوم، ج١، ص٢٧٨.

(١) انظر تفسير البيضاوي، ج١، ص٢٠٤. وفتح القدير ،الشوكاني، ج١، ص ٥٠٠. وتفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٨. وروح المعاني في تفسير القرآن، الألوسي،ج٣، ص٣٥٨، ٣٥٩ ، وتفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤. والبحر المحيط، لأبي حيان، ج٣، ص٥٤٨. ومغني المحتاج، الخطيب، ج٣، ص١٤. والمغني، بن قدامه، ج٨، ص٣٦٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥، ص٥٧، وكشاف القناع، البهوتي، ج٤، ص٢٤٣.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ ،قال سعد: لأمه وفي رواية أخرى عن القاسم بن ربيعة قال : سمعت سعد بن أبي وقاص قرأ:(وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه) (١).

٢. القراءة المنسوبة إلى الصحابي الجليل أبي بن كعب حيث روي عنه أنه كان يقرأ:(وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من الأم)). (٢) وهذه القراءة وإن كانت شاذة، إلا أن كثيراً من العلماء استند إليها، بناء على أن الشاذ من القراءات إذا صح سنده كان كخبر الواحد في وجوب العمل به. وهذا ما أوضحه صاحب روح المعاني حيث قال: قوله (أخ أو وأخت) أي من الأم فقط وعلى ذلك عامة المفسرين وأخرج غير واحد عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقرأ (وله أخ أو أخت من أم) وعن أبي (من الأم)، وهذه القراءة وإن كانت شاذة، إلا أن كثيراً من العلماء استند إليها بناء على أن الشاذ من القراءات إذا صح سنده كان كخبر الواحد في وجوب العمل به، خلافاً لبعضهم. (٣)

٣. ماروي عن بعض السلف في تفسيرهم للمراد بالأخوة في الآية ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾. **وأن** المراد بها الأخوة لأم من ذلك:

---

(٢) تفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٨ .

(٣) روح المعاني، الألوسي، ج٣، ص٣٥٨، ٣٥٩ .

(١) روح المعاني، الألوسي، ج٣، ص٣٥٩ .

- ما روي عن أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- أنه قال في خطبته :ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد. والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم ، والآية التي ختم بها سورة النساء في الإخوة والأخوات من الأب والأم ، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. (١)

فالشاهد في قول أبي بكر قوله: (والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم) حيث فسر الأخوة في الآية بالأخوة لأم.

- وما روي عن السدي في معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم ، فهم شركاء في الثلث ، سواء الذكر والأنثى .(٢)
- وعن قتادة قوله : (وله أخ أو أخت)، فهؤلاء الإخوة من الأم : إن كان واحداً فله السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء. (٣)

---

(٢) انظرالدر المنثور، السيوطي، ج٢ ص٤٥١، وتفسير البغوي، ج١، ص٥٠٤.وتفسير القران العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(١) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٨ .

(٢) تفسير الطبري ج٤، ص٦٢٨.

٤. ويدل على هذا القول –أيضاً– أن أحكام بني الأعيان[الإخوة لأب وأم] والعلات[الإخوة لأب] تأتي في آخر السورة الكريمة، وأيضاً أن ما قدر هنا من أن لكل واحد من الأخ أوالأخت السدس وللأكثر الثلث وهو فرض الأم، فالمناسب أن يكون ذلك لأولاد الأم، ويقال لهم إخوة أضياف وبنو أضياف.(١)

المطلب الثاني

كيف يرث الإخوة المذكورون في الآية.

لقد أوضحنا في المطلب السابق أن المراد بالإخوة في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ (النساء: ١٢) الإخوة لأم، بإجماع العلماء.وبناء على ذلك فإننا في هذا المطلب نبين كيفية ميراث هؤلاء الإخوة من الأم الواحد منهم أو الأكثر، الذكور والإناث. الإخوة من الأم من أصحاب الفروض وقد ثبت ميراثهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، ج٣، ص٣٥٩ .

أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ (النساء:١٢). والمراد بهذه الآية الأخ والأخت من الأم بإجماع أهل العلم.(١)

أما كيف يرث الإخوة لأم ؟

لا خلاف بين العلماء في أن ميراث الواحد منهم السدس، ذكراً كان أو أنثى، فإن كانوا أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث، يقتسمونه فيما بينهم بالسوية، الذكور والإناث سواء، وعلى هذا إجماع العلماء، إلا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه رواية شاذة، أن الثلث الذي هو نصيب الأخوة والأخوات لأم يقسم بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، وحجته في ذلك أنهم: يدلون بالأم، فيكون قسمة هذا الميراث بينهم على نحو قسمة ميراث الأم بينهم، وميراث الأم يقسم بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، فكذلك الميراث الذي يستحقونه بقرابة الأم.

ودليل الجمهور قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ (النساء:١٢).فقوله تعالى: ﴿ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ الشركة تقتضي التسوية، ثم يفضل الذكر على الأنثى في حالة الاختلاط من حكم العصوبة، ولا تأثير لقرابة

(١) انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٠، والشرح الكبير.. للمقدسي، ج٨، ص٣٦٤. والمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١. المنهاج النبوي، ج٢، ص١٤. وحاشية ابن عابدين، ح١٠، ص٤١٣، ومغني المحتاج، الخطيب، ج٣،ص١٥.

الأم في استحقاق العصوبة بها، وإنما يستحقون الميراث بالإدلاء بالأم، والأنثى قد استوت بالذكر في ذلك، فيستويان في الاستحقاق، [١]ويؤيد ذلك تفسير بعض السلف لهذه الآية:

- عن السدي : (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) ، فهؤلاء الإخوة من الأم ، فهم شركاء في الثلث ، سواء الذكر والأنثى .[٢]
- وعن قتادة قوله: ((وله أخ أو أخت))، فهؤلاء الإخوة من الأم : إن كان واحداً فله السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء. [٣]

ويؤيد ذلك –أيضا– ما ذكره بعض العلماء من أن الإخوة لأم يخالفون بقية الورثة من وجوه:

أحدها: أنهم يرثون مع من أدلوا به، وهي الأم.

الثاني: أن ذكورهم وإناثهم في الميراث سواء.

---

(١) انظر المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١. ومغني المحتاج، ج٣، ص١٥. وانظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٠، والشرح الكبير، للمقدسي،ج٨، ص٣٦٤. والجامع لأحكام، القرطبي، ج٥، ص١٥٥،والمدونة، ج٣، ص١٠٤٤.وتفسير الطبري، ج٤،ص٦٢٨ التنبيه الشيرازي، ج٢، ص٥٨١.وحاشية ابن عابد، ج١،ص٤٢٥. ومغني المحتاج، الخطيب، ج٣، ص١٥.

(٢) تفسير الطبري، ج٤،ص٦٢٨.

(١) تفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٨.

الثالث: أنهم لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلالة، فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد ولا ولد ابن.

الرابع: أنهم لا يزادون على الثلث، وإن كثر ذكورهم وإناثهم، وهو ما قضى به عمر ﷺ عن الزهري قال: قضى عمر أن ميراث الإخوة من الأم بينهم للذكر مثل الأنثى، ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم بذلك من رسول الله ﷺ، لهذه الآية التي قال الله تعالى فيها:(إِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ)(النساء:١٢)[١]

وما ذكر سابقاً من أن الأخوة لأم إذا انفرد الواحد منهم أن له السدس ذكراً كان أو أنثى، وأنهم إن كانوا أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث على السوية للذكر منهم مثل حظ الأنثى سواء)).[٢] لا خلاف فيه بين العلماء وإنما حصل الخلاف فيما إذا كان عدد الإخوة لأم اثنين فقط ذكراً كان أو أنثى، أو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى ، فهل يرث كل واحد منهما السدس ؟ أم يشترك الاثنان في الثلث؟ العلماء في هذه المسألة على قولين:

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٤١٧.

(١) بداية المجتهد، ابن رشد،ج٥، ص٤٠٩.

القول الأول: أن الإخوة لأم إذا كانوا أكثر من اثنين فإن ميراثهم الثلث ذكرهم وأنثاهم سواء، للذكر مثل حظ الأنثى، أي أن الاثنين وأكثر يشتركون في الثلث ، و هذا قول أكثر العلماء. (١)

فقد جاء في المبسوط: (٢) ((وللواحد منهم السدس، ذكراً كان أو أنثى، وللمثنى ذكراً كان أو أنثى فصاعداً منهم الثلث، بين الذكر والأنثى بالسوية، لا يزاد لهم على الثلث، وإن كثروا إلا عند الرد، فلا ينتقص الفرد منهم عن السدس إلا عند العول)). (٣) وهو ما أوضحه صاحب المهذب حيث قال: (وأما ولد الأم فللواحد السدس، وللاثنين فصاعداً الثلث) والدليل عليه قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ (النساء:١٢) والمراد به ولد الأم، والدليل عليه ما روي أن عبد الله وسعداً كانا يقرآن: (وله أخ أو أخت من أم) وسوى بين الذكور والإناث للآية، ولأنه إرث بالرحم المحض؛ فاستوى فيه الذكر والأنثى كميراث الأبوين مع الابن. (٤)

---

(٢) أنظر شرح التنبيه، السيوطي، ج١، ص٥٨١. والمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥٦. والمنهاج، النووي، ج٣، ص١٤. و المحلى، ابن حزم، ج٨، ص٢٨٤. وحاشية ابن عابدين، ج١٠، ص٤٢٥.

(٣) انظر المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥٦.

(٤) العول: هو من الزيادة والارتفاع وهو أن يجاوز سهام الميراث سهام المال.(انظر طلبة الطلبة، النسفي، ص٣٤٦).

(١) المهذب،الشيرازي، ج١٧، ص١٠١.

فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ الإشارة بذلك إلى أخ أو أخت من أم، أكثر من واحد، لأن المحكوم عليه بأن له السدس هو كل واحد من الأخ والأخت فهو واحد، ولم يحكم على الاثنين بأن لهما جميعاً السدس فتصبح الأكثرية فيما أشير إليه وهو ذلك. وظاهر الآية أنه إذا ترك أخاً أو أختاً أي أحد هذين فلكل واحد منهما السدس، أو أكثر اشتركوا في الثلث.(١)

وهذا ما عليه أكثر العلماء بل نقل بعض العلماء الإجماع في ذلك: قال البغوي: ((فيه إجماع أن أولاد الأم إذا كانوا اثنين فصاعداً يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم)).(٢)

وهو ما أكده صاحب روح المعاني فقال: (٣)(فإن كانوا) أي الأخوة والأخوات من الأم...(أكثر من ذلك) أي المذكور بواحد أو بما فوقه، والتعبير باسم الإشارة دون الواحد، لأنه لا يقال أكثر من الواحد (فهم شركاء في الثلث) يقتسمونه فيما بينهم بالسوية، وهذا مما لا خلاف فيه لأحد من الأمة، والباقي لباقي الورثة من أصحاب الفروض و العصبات.

وهو ما يراه ابن كثير مرجحا أن المراد من قوله: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ أي: أكثر من الأخ المنفرد أو الأخت المنفردة بواحد، وذلك بأن

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ج٣، ص٥٤٨.

(٣) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي ، ج٣،، ص٣٦٠ .

يكون الموجود اثنين فصاعداً، ذكرين أو أنثيين أو ذكراً وأنثى. وقد استدل بذلك على أن الذكر كالأنثى من الإخوة لأم، لأن الله شرك بينهم في الثلث، ولم يذكر فضل الذكر على الأنثى كما ذكره في البنين والإخوة لأبوين أو لأب. قال القرطبي: وهذا إجماع.(١)

وكما نقل إجماع العلماء في ذلك ابن رشد فقال: ((وأجمع العلماء على أن الأخوة لأم إذا انفرد الواحد منهم أن له السدس ذكراً كان أو أنثى، وأنهم إن كانوا أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث على السوية للذكر منهم مثل حظ الأنثى سواء))(٢)

وحجة هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ (النساء:١٢) ولفظ الشركة يقتضي التسوية، فهو دليل على أنه سوى بين ذكورهم وإناثهم، والمعنى يدل عليه، فإنهم يدلون بالأم، فيعتبر ميراثهم بميراث المدلى به، وللأم في الميراث حالان، فالفرد منهم يعتبر حاله بأسوأ حالي الأم، فله السدس، والجماعة منهم يعتبرون بأخس حالي الأم، لتقوى حالهم بالعدد، وفي معنى الإدلاء بالأم الذكور والإناث سواء.(٣)

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٥٣٧. والجامع لأحكام القران، القرطبي، ج٦ ، ص٣٢

(٢) بداية المجتهد، ابن رشد،ج٥، ص٤٠٩.

(١) انظر لمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١. والمهذب، الشيرازي، ج١٧، ص١١٠.

وعن قتادة قوله : ((وله أخ أو أخت))، فهؤلاء الإخوة من الأم : إن كان واحداً فله السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء. (١)

القول الثاني: أن للواحد من الإخوة لأم السدس، ذكراً كان أو أنثى وللاثنين السدسان. فإن كثروا، فهم شركاء في الثلث، يقتسمونه بينهم بالسوية للذكر مثل حظ الأنثى. (٢) ودليل هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (سورة النساء، الآية: ٢١) .

قال مالك : ويفرض للواحد منهم السدس ذكراً كان أو أنثى، إن كانا اثنين فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بينهم بالسوية للذكر مثل حظ الأنثى، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء: ٢١) فكان الذكر والأنثى في هذا بمنزلة واحدة.(٣)

---

(٢) تفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٨.

(٣) انظر الكافي،ابن قدامة، ج٢، ص٥٣٧. والمدونة الكبرى رواية سحنون، ج٣، ص١٠٤٤. وتفسير الطبري، ج٤، ص٦٢٨ .

١) المدونة الكبرى رواية سحنون، ج٣، ص١٠٤٤و الموطأ، ملك بن أنس، ص٤١٨.

قال أبو جعفر: وقوله (فلكل واحد منهما السدس) إذا انفرد الأخ وحده أو الأخت وحدها، ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لأمه، فإن اجتمع أخ أو أخت أو أخوان لا ثالث معهما لأمهما، أو أختان كذلك ،أو أخ أو أخت ليس معهما غيرهما من أمهما، فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لأمهما السدس. (فإن كانوا أكثر من ذلك ..) يعني: فإن كان الأخوة والأخوات لأم الميت الموروث كلالة أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث.. على عدد رؤوسهم لا يفضل ذكر منهم على أنثى في ذلك ولكنه بينهم بالسوية. (١)

والخلاصة لما سبق أن الراجح في ميراث الإخوة لأم ماذهب إليه أصحاب القول الأول، وهم جمهور العلماء أي أنهم يرثون على النحو التالي:

١- إذا كان أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس.

٢- إذا كانوا أكثر من ذلك أي أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث، ذكوراً وإناثاً بالسوية، لا فرق بين الذكر والأنثى، أي أن الأخوة لأم إذا كانوا اثنين فأكثر فإنهم يرثون الثلث مشاركة الذكر والأنثى سواء.

المطلب الثالث

متى يحرم الإخوة لأم من الميراث.

١) تفسير الطبري، ج٤، ص١٩٤ .

يحرم أولاد الأم من الميراث ذكرهم وأنثاهم بأربعة: بالولد، وولد الابن، والأب، والجد أب الأب، وإن علا، أجمع على هذا أهل العلم فلا يعلم أن أحداً منهم خالف هذا، إلا رواية شاذة عن ابن عباس في أبوين وأخوين لأم، للأم الثلث وللأخوين الثلث، وقيل عنه: لهما ثلث الباقي وهذا بعيد جداً،فد روي عنه غير ذلك، قال ابن عباس: يسقط الإخوة كلهم بالجد فكيف يورث ولد الأم مع الأب؟ ولا خلاف بين أهل العلم في أن ولد الأم يسقطون بالجد فكيف يرثون مع الأب ؟ (١)

والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء: ١٢) والمراد بهذه الآية الأخ والأخت من الأم بإجماع أهل العلم، وفي قراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم، والكلالة في قول الجمهور: من ليس له ولد ولا والد فشرط في توريثهم عدم الولد والوالد، والولد يشمل الذكر والأنثى والوالد يشمل الأب والجد(٢)

(١) انظر المغني ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٠. والمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١١٥٤ . والمهذب، ج١٧، ص١٢٣. والمدونة، ج٣، ص١٠٤٤. والكافي، لابن قدامة، ج٣، ص٥٣٧.

(١) المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٠.

فلا يرثون مع أربعة نفر بالاتفاق، مع الولد وولد الابن، ذكراً كان أو أنثى، ومع الأب والجد، فإن الله تعالى شرط في توريثهم الكلالة، وقد بينا أن الكلالة ما خلا الوالد والولد.(١)

ويؤيد ذلك أيضاً ما روى جابر رضي الله عنه قال: جاءني النبي ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل،فتوضأ، وصب من وضوئه علي، فعقلت، فقلت: يا رسول الله، لمن الميراث، وإنما يرثني كلالة؟ قال: فنزلت آية الفرض.

وروي أنه قال: كيف أصنع في مالي ولي أخوات؟ فنزلت آية المواريث: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾(٢)

قال مالك: ((الأمر المجمع عليه عندنا أن الإخوة للأم لا يرثون مع الولد، ولا مع ولد الأبناء ذكراناً كانوا، أو إناثاً شيئاً، ولا يرثون مع الأب، ولا مع الجد أبي الأب شيئاً)). (٣)

قال الشافعي رحمه الله تعالى: ((ولا يرث الإخوة والأخوات من قبل الأم مع الأب ولامع الجد وإن علا، ولا مع الولد ولا مع ولد الابن وإن سفل)).(٤)

(٢) المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥٤.

(٣) سبق تخريجه، ص٦.

(٤) المدونة الكبرى رواية سحنون، ج٣، ص١٠٤٤و الموطأ، ملك بن أنس، ص٤١٨.

(١) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، للماوردي، ج٨، ص٩٣.

والخلاصة: أن ولد الأم يسقط بأربعة: بالولد ذكراً كان أو أنثى، وولد الابن، والأب، والجد، لأن الله تعالى شرط في توريثهم كون الموروث كلالة، بقوله تعالى: { وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس} والكلالة: من لا ولد له ولا والد في قول بعض أهل العلم، وفي قول بعضهم: هو اسم لمن عدا الولد والوالد من الوارث، فيدل على أنهم لا يرثون مع ولد ولا والد.

المبحث الثالث

آية الصيف والأحكام المتعلق بها

يقصد بآية الصيف قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ

فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (النساء:١٧٦).

فأنزل الله في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء وهي في أوّل سورة النساء، والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها.(١)

فهذه الآية تسمى بآية الصيف، لأنها نزلت في زمن الصيف(٢) قال عمر: إني والله لا أدع شيئاً أهم إلى من أمر الكلالة، وقد سألت رسول الله ﷺ عنها فما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيها، حتى طعن بإصبعه في جنبي أو في صدري ثم قال: ((يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي أنزلت في آخر سورة النساء)) . (٣)

وقوله ألا تكفيك آية الصيف؟ أراد: أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين إحداهما: في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والأخرى: في الصيف، وهي التي في آخرها ، وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء، فلذلك أحاله عليها.(٤)

وعن البراء بن عازب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله يستفتونك في الكلالة ما الكلالة ؟ قال: (تجزيك آية الصيف) فقلت لابن اسحاق: هو من مات ولم يدع ولدا ولا والداً قال: كذلك ظنوا أنه كذلك.(٥)

---

(١) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج٦، ص٣١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١،ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠١).

(١) تفسير البغوي، ج١، ص٤٠٤.

(٢) سبق تخريجه.

قال ابن كثير : وكأن المراد بآية الصيف أنها نزلت في فصل الصيف، والله أعلم.[١]
قال أهل العلم: إن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين إحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة، والأخرى في الصيف وهي هذه الآية، ولهذا تسمى هذه الآية آية الصيف.[٢] وسوف نتحدث عن هذه الآية وما يتعلق بها من أحكام في المطالب التالية:

المطلب الأول

المراد بالولد في قوله تعالى : (ليس له ولد . . .إن لم يكن لها ولد)

ولماذا لم يذكر الوالد مع أنه يحجب الأخوة. للعلماء في المراد بالولد في قوله تعالى: (إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ) (النساء:١٧٦) قولان:

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ج١، ص٥٣٧.
(٤) التفسير الكبير، الرازي، ج١١، ص٢٧٤.

القول الأول: أن المراد بالولد الذكر والأنثى، فالولد يطلق على الذكر والأنثى، وبهذا قال أكثر الفقهاء.(١)

فالمراد بالولد الابن . وهو لفظ مشترك . يقع على الذكر والأنثى إلا أن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت.(٢)

جاء في تفسير أبي السعود: إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكراً كان أو أنثى...وقوله (إن لم يكن لها ولد) ذكراً كان أو أنثى، فالمراد بإرثه لها إحراز جميع مالها، إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة، فإنه يتفق مع وجود بنتها، وليس في الآية ما يدل على سقوط الأخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم، وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة. (٣)

وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر)(٤) والأب أولى من الأخ

القول الثاني: المراد بالولد هنا الابن،أي الذكر. قال الشوكاني موضحا هذين القولين: وقوله "ليس له ولد" والولد يطلق على الذكر والأنثى،قيل: والمراد بالولد هنا

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٣١، وتفسير أبي السعود المسمى أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج١، ص٢٦٤. وفتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٦٢٦ وتفسير النسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٢٧٢.

(٢) تفسير النسفي، مدارك التنزيل، ج١، ص٢٧٢.

(١) تفسير أبي السعود، ج١، ص٢٦٤.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الفرائض، باب ميراث ابن الابن، ج١٣، ص٥٠١، ح رقم: (٦٥٨٧)

الابن، وهو أحد معنيي المشترك، لأن البنت لا تسقط الأخت. قوله ((وهو يرثها)) أي المرء يرثها: أي يرث الأخت (إن لم يكن لها ولد ذكر) إن كان المراد بإرثه لها حيازته لجميع ما تركته، وإن كان المراد ثبوت ميراثه له في الجملة فهو أعم من أن يكون كلاً أو بعضاً صح تفسير الولد بما يتناول الذكر والأنثى.(١)

أما لماذا لم يذكر الوالد مع الولد في الآية مع أنه يحجب الأخوة مثل الولد ؟ قيل: إنه سبحانه وتعالى اقتصر على عدم الولد هنا مع أن عدم الوالد معتبر في الكلالة اتكالاً على ظهوره، وقيل: اقتصر سبحانه في هذه الآية على نفي الولد مع كون الأب يسقط الأخ كما يسقطه الولد الذكر، لأن المراد بيان حقوق الأخ مع الولد هنا.

وأما سقوطه مع الأب فقد تبين بالسنة كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ: (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر) (٢) والأب أولى من الأخ.(٣)

ويرى بعض العلماء أن المراد بقوله: {ليس له ولد} الولد والوالد جميعاً، فإن اسم الولد مشتق من الولادة، ويطلق ذلك على الوالد لتولد الولد منه، وعلى الولد لتولده من الوالد، كاسم الذرية يتناول الأولاد والآباء، قال الله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (يس: ٤١) يعنى آباءهم، فسمى الأب بهذا

(٣) انظر فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٦٢٦.

(١) سبق تخريجه، نفس الصفحة.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٦٢٦.

الاسم؛ لأن الولد ذرى منه، وسمى به الولد؛ لأنه ذرى من الأب، والمراد بقوله عز وجل {ليس له ولد} الولد ومن يقوم مقام
الولد. ألا ترى أن من له ولد ابن لا يكون كلالة؛ لوجود من يقوم مقام الولد، فكذلك من له أب لا يكون كلالة؛ لوجود من يقوم مقام الولد. (١)

فلفظ الولد يطلق على الوالد والمولود، فالولد يسمى والدا لأنه ولد، والمولود يسمى و لدا لأنه ولد كالذرية، فإنها من ذرى ثم تطلق على المولود والولد .(٢) فاقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضاً معتبر في الكلالة ثقة بظهور الأمر، ودلالة تفضيل الورثة عليه.(٣)

فظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن الأخت تأخذ النصف، وليس كذلك، بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد، وذلك لأن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع.(٤)

المطلب الثاني

ما المراد بالأخوة في الآية وكيف يرثون ومتى يسقطون ؟

(٣) المبسوط،السرخسي، ج٢٩، ١٥٦.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج٦، ص٣١ .
(٥) تفسير أبي السعود، ج١، ص٢٦٤.
(١) التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج١١، ص٢٧٤.

المراد بالإخوة والأخوات في الآية: (ولهُ أُخْتٌ. . . وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً) أي الأخوة من الأبوين أو من الأب بلا خلاف بين أهل العلم.(١)

فقوله "وله أخت" عطف على قوله "ليس له ولد". والمراد بالأخت هنا هي الأخت لأبوين أو لأب لا لأم، فإن فرضها السدس كما ذكر سابقاً.(٢)

ومما يرجح القول بأن المراد (بالأخت) في الآية الأخت من الأبوين أو الأب، أنه جعل أخاها عصبة، وابن الأم لا يكون عصبة، والولد على ظاهره، فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء –غير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما– لكنها لا ترث النصف.(٣)لأنه قال: (وهو يرثها إن لم يكن لها ولد) وهذا حكم العصبة،(٤) فاقتضت الآية أنهم لا يرثون مع الولد والوالد، لأن الكلالة من لا ولد له

(٢) انظر المغني ابن قدامة، ج٨ ، ص ص٣٦٣.و فتح القدير، ج١، ص٦٢٦،وأحكام القرآن، القرطبي، ج٥ ،ص٥٥ . التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج٦، ص١٢٢. والتمهيد ، لابن عبد البر، ج٥، ص١٨٢.

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٦٢٦.

(٤) تفسير البيضاوي، ج١، ص٢٥٢.

(١) والعصبة: قرابة الرجل لأبيه، وقال الفقهاء: هو الذكر الذي يدلي إلى الميت بذكور.أي هو الوارث بغير تقدير، وإذا كان معه ذو فرض أخذ ما فضل عنه قل أو كثر، وإن انفرد أخذ الكل، وإن =استغرقت الفروض المال سقط.(انظر طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، نجم الدين النسفي، ص٣٤٤، والمغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٢).

ولا والد، خرج من ذلك البنات والأم، لقيام الدليل على ميراثهم معهما فبقي ما عداهما على ظاهره.(١)

قال القرطبي: مبينا إجماع العلماء في ذلك: قوله ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ المراد منه الأخت من الأب والأم، أو من الأب، لأن الأخت من الأم والأخ من الأم قد بيّن الله حكمه في أول السورة بالإجماع. ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ يعني أن الأخ يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن للأخت ولد، إلاّ أن هذا الأخ من الأب والأم أو من الأب، أما الأخ من الأم فإنه لا يستغرق الميراث. وأن المراد بالأخوة هنا الأخوة للأب والأم أو للأب (٢) .

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١٧٦) فهذه الآية دالة على أن الأخت المذكورة ليست هي الأخت من الأم .(٣) فلم يختلف علماء المسلمين قديمًا وحديثا أن ميراث الإخوة للأم ليس هكذا، فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في هذه الآية هم إخوة المتوفى لأبيه وأمه أو لأبيه. (٤)

(٢) انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ج٦ ، ص٣١ .
(٤) التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج٦، ص١٢٢.
(١) التمهيد ، لابن عبد البر، ج٥، ص١٨٢.

ويوضح ذلك تفسير أبي بكر الصديق رضي الله عنه للإخوة في الآية وأن المراد بهم الإخوة والأخوات من الأب والأم، فقد روي عنه أنه قال في خطبته: (ألا إن الآية التي أنزلها الله في سورة النساء في الفرائض، فأولها: في الولد والوالد، وثانيها: في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الأخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام). (١)

فذكر الله عز وجل في كتابه الكلالة في موضعين: أول سورة النساء وآخرها ولم يذكر في الموضعين وارثاً غير الإخوة. فأما الآية التي في أول السورة فأجمع العلماء على أن الإخوة فيها عني بهم الإخوة للأُم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ . وكان سعد بن أبي وقّاص يقرأ {وَلَهُ أَخٌ مِن أُمٍ}. ولا خلاف بين أهل العلم أن الإخوة للأب والأُم أو للأب ليس ميراثهم كهذا؛ فدل إجماعهم على أن الإخوة المذكورين في آخر السورة هم إخوة المتوفَّى لأبيه وأُمه أو لأبيه؛ لقوله عز وجل ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ . ولم يختلفوا أن ميراث الإخوة للأُم ليس هكذا؛ فدلَّت الآيتان أن الإخوة كلهم جميعاً كلالة. (٢)

كيف يرث الإخوة المذكورون في الآية: (الأخوة لأب وأم أو لأب) :

(٢) انظر التفسير الكبير ، الفخر الرازي، ج٦، ص١٢٢. وتفسير الطبري، ج٦، ص٣٠.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥ ، ص٥٥.

فأما ميراث الأخوة لأب وأم فإنهم يقومون مقام أولاد الصلب عند عدمهم في التوريث، ذكورهم مقام ذكورهم، وإناثهم مقام إناثهم، حتى أن الأنثى منهم إذا كانت واحدة فلها النصف، وللمثنى فصاعداً الثلثان، بدليل قوله الله تعالى ﴿ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ ثم قال عز وجل ﴿ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ كما في ميراث البنات إذا كان فوق اثنتين. وللفرد منهم إذا كان ذكراً جميع المال، ثبت بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ أي يرثها جميع المال، وإن كثروا فالمال بينهم بالسوية إن كانوا ذكورا، وعند اختلاط الذكور بالإناث يكون المال بينهم، للذكر مثل حظ الأنثيين، ثبت بقوله تعالى ﴿ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ كما هو في ميراث الأولاد. وهكذا ميراث الأخوة لأب مثل ميراث الأخوة لأب وأم عند استحقاقهم الميراث .(١)

وهذا مأخوذ من قوله (يستفتونك)أي: يستخبرونك ويسألونك، (قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها) يعني إذا ماتت الأخت فجميع ميراثها للأخ، (إن لم يكن لها ولد) فإن كان لها ابن فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها أنثى فللأخ ما فضل عن فرض البنات، (فإن كانتا

(٢) انظر المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١.و المنتقى شرح الموطأ، ج٦، ص٢٣٠ والمهذب، ج١٧، ص١١٠. وفتح القدير، الشوكاني،ج١، ص٦٢٦، وتفسير النسفي، مدارك التنزيل، ج، ص٢٧٣.

اثنتين فلهما الثلثان مما ترك)، أراد اثنتين فصاعداً، وهو أن من مات وله أخوات فلهن الثلثان، وإن كانوا إخوةً رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين.(١)

والخلاصة: أن ميراث الإخوة لأب وأم أو لأب كما يلي:

١- إذا ترك الميت أختاً فلها النصف مما ترك.

٢- إذا كان الميت امرأة وتركت أخاً فله جميع المال.

٣- إذا ترك الميت أختان أو أكثر فلهن الثلثان.

٤- إذا اجتمع الذكور والإناث من الإخوة للميت كلالة فإن للذكر مثل حظ الأنثيين.

متى يُحرم الأخوة لأب وأم أو لأب من الميراث ؟

لا يرث أخ ولا أخت لأب وأم أو لأب مع ابن، ولا مع ابن الابن وإن سفل، ولا مع أب، وقد أجمع أهل العلم على ذلك وذكر ذلك ابن المنذر وغيره.(٢) والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ (النساء: ١٧٦ والمراد بذلك الإخوة والأخوات من الأبوين، أومن الأب، بلا خلاف بين أهل العلم، ولأنه قال: وهو يرثها إن لم يكن لها ولد وهذا حكم العصبة واقتضت الآية أنهم لا يرثون مع

(١) تفسير البغوي، ج١، ص٥٠٤.

(٢) انظر الإجماع ، لابن المنذر، ص٨٣.

الولد والوالد، لأن الكلالة من لا ولد له ولا والد، خرج من ذلك البنات والأم لقيام الدليل على ميراثهم معهما، وبقي ما عداهما على ظاهره. (١)

لما روي عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية، وأن أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات، الرجل يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه.(٢)

قال مالك: (الأمر المجتمع عليه عندنا أن الإخوة للأب والأمّ أي الأشقاء لا يرثون مع الولد الذكر شيئاً، ولا مع ولد الابن الذكر شيئاً، ولا مع الأب). (٣)

وقال الشافعي: ((ولا يرث الإخوة والأخوات من كانوا، مع الأب ولا مع الابن ولا مع ابن الابن وإن سفل)) (٤)

فظاهر هذه الآية: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ (النساء:١٧٦).أن فيها تقييدات ثلاث وليس الأمر كذلك:

الأول: أن ظاهر الآية يقتضي أن الأخت تأخذ النصف عند عدم الولد، فأما عند وجود الولد فإنها لا تأخذ النصف، وليس الأمر كذلك، بل شرط كون الأخت

(١) انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٥٩. والمهذب، الشيرازي، ج١٧، ص٢٠٥. والمنتقى شرح الموطأ، الباجي،ج٦، ص٢٣١. والموطأ، ملك بن أنس، ص٤١٨.

(٢) سنن الترمذي، ج٤، ص ٦١٢، ح رقم: (٢٠٩٥).

(٣) الموطأ، رواية سحنون عن ملك بن أنس، ص٤١٨. وشرح الزرقاني، ج٣، ص١٠٥.

(١) الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، للماوردي، ج٨، ص٩٣.

تأخذ النصف أن لا يكون للميت ولد ابن، فإن كان له بنت فإن الأخت تأخذ النصف.

الثاني: أن ظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن الأخت تأخذ النصف وليس كذلك، بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد، وذلك أن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع.

الثالث: أن قوله ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ المراد منه الأخت من الأب والأم، أو من الأب، لأن الأخت من الأم والأخ من الأم قد بيّن الله حكمه في أول السورة بالإجماع. [١] والخلاصة: أن ولد الأبوين ذكرهم وأنثاهم يسقط بثلاثة: بالابن، وابن الابن وإن سفل، وبالأب، ويسقط ولد الأب بهؤلاء الثلاثة وبالأخ من الأبوين.

المطلب الثالث

مسائل في الإرث كلالة.

أولاً: المسألة المشتركة ؟ هل يرث الأخوة لأب وأم مع الأخوة لأم عند استغراق الميراث؟

هذه المسألة التي تسمى بالمشتركة، وبالحمارية وبالحجريّة، وباليميّة [٢] وهي: (امرأة توفيت وتركت زوجا، وأما أو جدة، واثنان من ولد الأم، وواحد أو أكثر من ولد

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ج٦، ص٣١.

(١) أما تسميتها بالمشتركة فلأن بعض العلماء شرك فيها بين الإخوة لأبوين ولد الأم في فرضه فقسمه بينهم بالسوية، وأما تسميتها بالحمارية وبالحجرية،وباليمية، فلما رواه الشافعي من أن الأشقاء قالوا لعمر، لما أراد

الأبوين) فاختلف العلماء في هل يرث الإخوة لأب وأم مع الإخوة لأم، أم لا ؟ إلى قولين:

القول الأول: أن الإخوة لأب وأم يشاركون الإخوة لأم ، فتكون المسألة على النحو الآتي: للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولأولاد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم، وقد وقعت هذه المسألة في زمن أمير المؤمنين عمر، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم، فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حماراً، ألسنا من أم واحدة ؟ فشرك بينهم وصح التشريك عنه وعن عثمان، وهي إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وهي أظهر الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهم، وبه يقول سعيد بن المسيب وشريح القاضي ومسروق وطاووس ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري وشريك، وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق بن راهويه، وهو قول جمهور العلماء كما نقله ابن كثير.[1]

إسقاطهم من الميراث: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حجرا ملقى في اليم، وفي رواية: كان حمارا، أليست أمنا واحدة ، فاستحسن ذلك وقضى بينهم بالتشريك.(انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٨٣. وشرح الرحبية في علم الفرائض، لسبط المارديني، ص٩٦ .

(١) انظرمغني المحتاج، للشربيني، ج٣، ص٣.وشرح الزرقاني، ج٣، ص١٠٥.والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٥، ص٥٥. والمغني، لابن قدامة،ج٨، ص٣٨٣. وشرح الرحبية ،لسبط المارديني، ص٩٦ . والمبسوط، للسرخسي، ج٢٩، ص١٥١.

وحجة أصحاب هذا القول: فعل عمر ﷺ عنه، وقالوا: -أيضا-إن استحقاق الميراث باعتبار القرب والإدلاء، وقد استوفوا في الإدلاء إلى الميت بالأم ويرجح الأخوة لأب وأم بالإدلاء إليه بالأب، فإن كانوا لا يتقدمون بهذه الزيادة، فلا أقل من يستووا بهم. وإنما لم يتقدموا لأن الإدلاء بالأب بسبب العصوبة، واستحقاق العصبات متأخر عن استحقاق أصحاب الفرائض، فلا يبقى هنا شيء من أصحاب الفرائض، فيسقط اعتبار الإدلاء بقرابة الأب في حقهم، وإنما يبقى الإدلاء بقرابة الأم، وهم في ذلك سواء.(١)

القول الثاني: أن الإخوة لأب وأم يسقطون ولا يشاركون الإخوة لأم في الميراث، فتكون المسألة على النحو الآتي: للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس ولولد الأم الثلث، ولا شيء لأولاد الأبوين، وكان علي بن أبي طالب لا يشرك بينهم، بل يجعل الثلث لأولاد الأم، ولا شيء لأولاد الأبوين، والحالة هذه لأنهم عصبة.

وقال وكيع بن الجراح: لم يختلف عنه في ذلك. وهذا قول أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري. وهي أظهر الروايتين عن ابن مسعود وإحد الروايتين عن ابن عباس. وهو مذهب الشعبي، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة، وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، وزفر بن الهذيل، والإمام أحمد بن حنبل، وداود بن علي الظاهري.(٢)

---

(٢) انظر المراجع السابقة.

(١) انظر المغني، لابن قدامة، ج٨، ص٣٨٣. وشرح الرحبية ، السبط المارديني، ص٩٦، والمبسوط، للسرخسي، ج٢٩، ص١٥١. والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج٥، ص٥٥. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١،ص٤١٧،والمحلى، لابن حزم، ج٨، ص٢٦٨، وحاشية ابن عابدين، ج١٠،ص٤٢٩.

وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ (النساء: ١٢) وقالوا لا خلاف في أن المراد بهذه الآية ولد الأم على الخصوص، فمن شرك بينهم فلم يعط كل واحد منهما السدس فهو مخالفة لظاهر القرآن، ويلزم منه مخالفة ظاهر الآية الأخرى، وهي قوله: (وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)(النساء: ١٧٦) يراد بهذه الآية سائر الإخوة والأخوات، وهم يسوون بين ذكرهم وأنثاهم، وقال النبيّ ﷺ : (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر) [١] ومن شرك فلم يلحق الفرائض بأهلها . [٢]

ومن جهة المعنى: أن أولاد الأبوين عصبة لا فرض لهم، وقد تم المال بالفروض فوجب أن يسقطوا كما لو كان مكان ولد الأم ابنتان، وقد انعقد الإجماع على أنه لو كان في هذه المسألة واحد من ولد الأم، ومائة من ولد الأبوين لكان للواحد السدس، وللمائة السدس الباقي لكل واحد عشر عشرة، وإذا جاز أن يفضلهم الواحد هذا الفضل كله فَلِمَ لا يجوز لاثنين إسقاطهم؟ وقولهم: تساووا في قرابة الأم قلنا: فلم لم يساووهم في الميراث في هذه المسألة ؟ وعلى أنا نقول: إن ساووهم في قرابة الأم فقد فارقوهم في كونهم عصبة من غير ذوي الفروض، وهذا الذي افترقوا فيه

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الفرائض، باب ميراث ابن الابن، ج١٣، ص٥٠١ ، ح رقم: (٦٥٨٧).

(٢) انظر المغني، لابن قدامة، ج٨، ص٣٨٤.

هو المقتضي لتقديم ولد الأم، وتأخير ولد الأبوين، فإن الشرع ورد بتقديم ذوي الفروض وتأخير العصبة ولذلك يقدم ولد الأم على ولد الأبوين في القدر في المسألة المذكورة وشبهها، فكذلك يقدم وإن سقط ولد الأبوين كغيره، لأنه يلزمهم أن يقولوا في زوج، وأخت من أبوين، وأخت من أب معها أخوها، أن الأخ يسقط وحده، فترث أخته السبع، لأن قرابتها مع وجوده كقرابتها مع عدمه، وهو لم يحجبها، فهلا عدوه حماراً وورثوها مع وجوده كميراثها مع عدمه.(١)

ومن جهة أخرى الإدلاء بقرابة الأب سبب لاستحقاق العصوبة، وبعدما وجد هذا السبب لا تكون قرابة الأم علة الاستحقاق، بل تكون علة للترجيح، فلهذا يرجح الأخ لأب وأم على الأخ لأب.

وما يكون علة للاستحقاق بانفراده لا يقع به الترجيح، وإنما يقع الترجيح بما لا يكون علة للاستحقاق؛ فلهذا يتبين أن قرابة الأم في حقهم ليست بسبب للاستحقاق، ثم العصوبة أقوى أسباب الإرث، والضعيف لا يظهر مع وجود القوي، فلا يظهر الاستحقاق بالفرضية في حق الأخوة والأخوات لأب وأم، وإذا لم يظهر ذلك وجب إلحاق الفرائض بأهلها، فإن بقي سهم فهو للعصبة، وإن لم يبق فلا شيء لهم.

وإذا اعتبر التسوية بينهم في قرابة الأم لترجح قرابة الأب، فينبغي أن يكون الثلث كله لهم، كما يرجح الأخوة لأب وأم على الأخوة لأب بقرابة الأم، والدليل عليه لو كان

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

هناك أخ واحد لأم، وعشرة لأب وأم، فللأخ لأم السدس، والباقي بين الأخوة لأب وأم، ولا أحد يقول بالتسوية بينهم هنا، فلو كان معنى الاستواء في قرابة الأم معتبراً، لوجب أن يعتبر ذلك، وبقي تفضيل الأخ لأم على الأخ لأب وأم.(١)

يقول الإمام الشوكاني: (٢) ودلت الآية على أن الإخوة لأم إذا استكملت بهم المسألة كانوا أقدم من الإخوة لأبوين أولأب، وذلك في المسألة المسماة بالحمارية، وهي إذا تركت الميتة زوجاً وأماً وأخوين لأم وإخوة لأبوين، فإن للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوين لأم الثلث، ولا شيء للإخوة لأبوين. ووجه ذلك أنه قد وجد الشرط الذي يرث عنده الإخوة من الأم وهو كون الميت كلالة، ويؤيد هذا حديث: ابن عبَّاس رضيَ الله عنهما عن النبي ﷺ قال:((ألحقوا الفرائضَ بأَهلِها، فما بَقِيَ فهوَ لأولى رجل ذكَر)).(٣)

ولعل الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه أصحاب القول الأول وهو إشراك الإخوة من الأب والأم مع الإخوة لأم في الميراث، وعدم حرمان الأخوة لأب وأم من الميراث في هذه المسألة، بدليل فعل عمر رضي الله عنه ، فدل أن فعله هو الصواب، ولو كان مخالفا للصواب لما سكت الصحابة، ولبينوا الصواب في المسألة، وبهذا قال جمهور العلماء.

---

(١) انظر المبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج١ ص ٥٠١

(٣) (١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الفرائض، باب ميراث ابن الابن، ج١٣، ص٥٠١ ، ح رقم: (٦٥٨٧)

ثانياً: كيف ترث الأخوات مع البنات ؟

الجمهور من العلماء من الصحابة والتابعين يجعلون الأخوات عصبة البنات وإن لم يكن معهن أخ، أي أن الأخوات يرثن مع البنات، غير ابن عباس، فإنه كان لا يجعل الأخوات عصبة البنات، وإليه ذهب داود وطائفة، فقال في بنت وأخت: للبنت النصف ولا شيء للأخت، فقيل له: إن عمر قضى بخلاف ذلك جعل للأخت النصف فقال ابن عباس : أنتم أعلم أم الله؟ يريد قول الله سبحانه: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء: ١٧٦) فإنما جعل لها الميراث بشرط عدم الولد.وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء: ١٧٦) ولم يورث الأخت إلا إذا لم يكن للميت ولد قالوا: ومعلوم أن الابنة من الولد، فوجب ألا ترث الأخت مع وجودها، وكان ابن الزبير يقول بقول ابن عباس في هذه المسألة حتى أخبره الأسود بن يزيد:

أن معاذا قضى في بنت وأخت فجعل المال بينهما نصفين.(١)

(١) انظر مختصر الخرقي وشرحه المغني، لابن قدامة، ج٨، ص٣٦٢، وتفسير البيضاوي، ج١، ص٢٥٢، والمجموع ، النووي، ج١٧، ص١١٠. والمبسوط، السرخسي، ج٢٩، ص١٥١. والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٣١. وتفسير ابن كثير، ج١، ص٥٣٦، وفتح القدير، الشوكاني، ج١،ص٦٢٦، وتفسير الطبري، ج٦، ص٣١.

والحق فيما ذهب إليه الجمهور، والسنة تدل على ذلك، عن أبي قَيْسٍ قال: سمعت هُزَيلَ بن شرحبيل قال: سُئلَ أبو موسى عنِ ابنةٍ وابنةِ ابن وأُختٍ، فقال: (للابنةِ النِّصف وللأُختِ النصف وائتِ ابنَ مسعودٍ فسيتُابعني، فسئل ابن مسعود وأُخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللتُ إذاً وما أنا منَ المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبيُّ ﷺ : للابنةِ النصف ولابنةِ الابن السدس تكملةَ الثلثينِ وما بقيَ فللأختِ، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقولِ ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبرُ فيكم .)[١]

ففي هذا تنصيص على أن الأخت عصبة مع البنت، والمعنى فيه أن حالة الانفراد حال الأخت أقوى من حال الاختلاط بالأخوة؛ لأن حالة الاختلاط حال مزاحمة، وحال الانفراد حال عدم المزاحمة، فإذا كانت هي لا تحجب عن الميراث في حالة الاختلاط بالأخوة، فلأن لا تحجب في حالة الانفراد كان أولى،.[٢]

واحتجاج ابن عباس لا يدل على ما ذهب إليه، بل يدل على أن الأخت لا يفرض لها النصف مع الولد، ونحن نقول به فإن ما تأخذه مع البنت ليس بفرض، وإنما هو بالتعصيب كميراث الأخ، وقد وافق ابن عباس على ثبوت ميراث الأخ مع الولد مع قول الله تعالى: ﴿وَهُوَيَرِثُهَا إِنْلَمْيَكُنْلَهَا وَلَدٌ﴾ (النساء:١٧٦) [٣]

(١) صحيح البخاري مع الفتح ،كتاب الفرائض، باب فريضة ابنة ابن مع ابنة، ج١٣، ص ٥١٠ ، ح رقم: (٦٥٩٣)

(٢) المهذب، الشيرازي، ج١٧، ص٢٠٥.

(٣) انظر المغني، ابن قدامة، ج٨، ص٣٦٣.

ويؤيد ما ذهب إليه جمهور العلماء ما رواه الأسودِ قال: (قَضى فينا معاذُ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ : النصفُ للابنةِ، والنصف للأختِ، ثم قال سليمان: قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله ﷺ). وفي رواية عن أبي قيس عن هُزَيل قال: (قال عبدُ الله لأقضين فيها بقضاء النبيّ ﷺ ، أو قال: قال النبي ﷺ: (للابنةِ النصفُ ولابنةِ الابن السدسُ وما بقي فللأختِ).[١]

فلا خلاف بين الصدر الأول ومن بعده من الفقهاء أن من لو ترك بنتاً وأبوين، أن للبنت النصف وللأبوين لكل واحد منهما السدس ومابقي للأب، ولو ترك بنتاًَ وأباًَ، فللبنت النصف، وللأب النصف، وقد أخذ في هاتين المسألتين الأب مع الولد أكثر من السدس، والسر في ذلك أن الذي تأخذه الأخت بعد أصحاب الفرائض ليس هو النصف الذي كان مفروضاً لها إذ لم يكن ولد، فإن ذلك فرض، وهذا مأخوذ بالتعصيب، لأنها عصبة فتأخذ الباقي، فتارة يكون الباقي نصفاً، وتارة أقل من ذلك.[٢]

فإن لم تكن أخوات من الأب والأم فالأخوات من الأب، لأنهن يرثن ما يرث الأخوات من الأب والأم عند عدمهن.[٣] فالراجح ما ذهب إليه جمهور العلماء، وهو أن الأخوات يرثن مع البنات عصبة، وهو ما رجحه الشوكاني، مبينا أن ما

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الفرائض، باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة، ج١٣، ص٥١١، ٥١٠ ، (٦٥٩٤)

(٢) أحكام القرآن، الطبري المعروف بالكيا الهراسي، ج٢،ص٣٦٣.

(٣) المهذب، الشيرازي، ج١٧، ص٢٠٥.

ذهب إليه ابن عباس وأهل الظاهر مردود بما ورد في السنة الصحيحة، الدالة على ثبوت ميراث الأخت مع البنت فقال: وما روي عن ابن عباس، فإنه كان لا يجعل الأخوات عصبة البنات، وإليه ذهب داود الظاهري وطائفة، وحجتهم ظاهر قول الله تعالى : ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء: ١٧٦) وقالوا: إنه لا ميراث للأخت لأبوين أو لأب مع البنت، واحتجوا بظاهر هذه الآية، فإنه جعل عدم الولد المتناول للذكر والأنثى قيداً في ميراث الأخت، وهذا استدلال صحيح لو لم يرد في السنة ما يدل على ثبوت ميراث الأخت مع البنت، وهو ما ثبت في الصحيح أن معاذاً قضى على عهد رسول الله ﷺ في بنت وأخت فجعل للبنت النصف وللأخت النصف.[١] وثبت في الصحيح أيضاً: (أن النبيﷺ قضى في بنت وبنت ابن وأخت فجعل للبنت النصف ولبنت الابن السدس وللأخت الباقي)[٢] فكانت هذه السنة مقتضية لتفسير الولد بالابن دون البنت.[٣]

الخاتمة(الخلاصة):

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ج١،ص٦٢٦.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر لله الذي أعانني بفضله ومنه وكرمه على إنجاز هذا البحث. وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

- إن علم الفرائض من أجل العلوم وأولاها بالعناية والرعاية، فتعلمه من فروض الكفاية، وهو العلم الذي أخبر النبي ﷺ أنه يعدل نصف العلم، بل هو أول علم ينتزع من هذه الأمة لأنه ينسى .بل اعتبر بعض العلماء تعلم هذا العلم فرضا من فروض الدين، لأن الرسول ﷺ حث على تعلمه وتعليمه الآخرين فقال: فقال النبيّ ﷺ : (تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الرجلان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما)(١)
- فعلم الفرائض هو علم المواريث، يُحتاج إليه لكثرة ما تعم به البلوى، ويكون فيه من النوازل والفتوى، ولهذا حث الشارع على تعلمه ورغب فيه مخافة اندراسه. فله فضل كبير لأنه ينظم انتقال الملكية من الميت إلى الحي، وبذلك تصان الأموال من الضياع، ويعطى كل ذي حق حقه بعدل ومساواة دونما ظلم لأحد، لأن الله وحده العالم أين تكمن المصلحة فهو خالق هذا الإنسان، لذلك قسم الميراث وحدد نصيب كل واحد بلا إفراط أو تفريط.
- إن لفظ الكلالة وأحكامها من المسائل المشكلة التي أشكل أمرها على العلماء قديما وحديثا.

(١) سبق تخريجه.

- إن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين أحداهما: في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ (آية: ١٢) والأخرى في الصيف وهي آخر آية في السورة: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ (النساء: ١٧٦) و تسمى بآية الصيف.

أما السنة النبوية فقد ورد لفظ الكلالة في كثير من الأحاديث، منها ما رواه محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ثم دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصب علي من وضوئه، فعقلت فقلت: يا رسول الله إنما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث، فقلت لمحمد بن المنكدر ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ قال هكذا أنزلت.(١)

- الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو: ذهاب القوة من الإعياء.
- اختلف العلماء في المراد من الكلالة في الآيتين، والراجح ما ذهب إليه جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، من أن الكلالة: من لا ولد له ولا والد. ويؤيد ذلك حديث جابر بن عبد الله، الذي ذكرأن الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أباه عبد الله بن حرام قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه .

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ج١١، ص ٤٧ ، ح رقم: (٤١٠٠).

- وكما اختلف العلماء في معنى الكلالة، اختلفوا في المسمى كلالة على من يطلق إلى عدة أقوال، أبرزها ثلاثة أقوال: أن الكلالة تطلق على الموروث، وهو من لم يخلف ولداً ولا والداً، وعلى الورثة، الذين ليسوا بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد .
- والراجح من هذه الأقوال ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن الكلالة اسم للورثة، لصحة الخبر الذي ذكر عن جابر بن عبد الله أنه قال: قلت يارسول الله إني يرثني كلالة فكيف بالميراث، نزلت الآية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء: ١٧٦). ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن، لأن أباه عبد الله بن حرام قتل يوم أحد، وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه.(١)
- إن المراد بالإخوة والأخوات في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ (النساء:١٢) الإخوة لأم بإجماع العلماء، ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك. ويؤيد ذلك قراءة سعد بن أبي وقاص والتي رواها عنه أكثر من واحد، أنه كان يقرأ (وله أخ أو أخت من أم).

(١) سبق تخريجه.

- إن ميراث الأخوة لأم بناء على ما ذهب إليه أكثر العلماء، يكون على النحو الآتي:
- إن كان الوارث أخا أو أختا فلكل واحد منهما السدس.
- أما إذا كانوا أكثر من ذلك أي أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث، ذكوراً وإناثاً بالسوية، لا فرق بين الذكر والأنثى.
- يحرم أولاد الأم من الميراث ذكرهم وأنثاهم بأربعة: بالولد، وولد الابن، والأب، والجد أب الأب، وإن علا، أجمع على هذا أهل العلم .
- المراد بالولد في قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ (النساء:١٧٦) الذكر و الأنثى، أي ذي ولد ذكراً كان أو أنثى، والولد يطلق على الذكر والأنثى، وبهذا قال أكثر الفقهاء.
- أما لماذا لم يذكر الوالد مع الولد في الآية مع أنه يحجب الأخوة مثل الولد

فقيل: أنه سبحانه وتعالى اقتصر على عدم الولد هنا مع أن عدم الوالد معتبر في الكلالة اتكالاً على ظهوره، وقيل: اقتصر سبحانه في هذه الآية على نفي الولد مع كون الأب يسقط الأخ كما يسقطه الولد الذكر، لأن المراد بيان حقوق الأخ مع الولد فقط هنا. وأما سقوطه مع الأب فقد تبين بالسنة كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ: (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر) [1] والأب أولى من الأخ. وقد قيل: أن المراد بقوله {ليس له ولد} الولد والوالد جميعاً، فإن اسم الولد

(١) سبق تخريجه.

مشتق من الولادة، ويطلق ذلك على الوالد لتولد الولد منه، وعلى الولد لتولده من الوالد، كاسم الذرية يتناول الأولاد والآباء.

- إن المراد بالإخوة والأخوات في الآية: ﴿ ولهُ أُخْتٌ . . . وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً ﴾ أي الأخوة من الأبوين أو من الأب بلا خلاف بين أهل العلم.
- إن ميراث الإخوة لأب وأم أو لأب كما يلي:
- إذا ترك الميت أختاً فلها النصف مما ترك.
- أما إذا كان الميت امرأة وتركت أخاً فله جميع المال.
- فإذا ترك الميت أختين أو أكثر فلهن الثلثان.
- وإذا اجتمع الذكور والإناث من الإخوة للميت كلالة فإن للذكر مثل حظ الأنثيين.
- ولا يرث أخ ولا أخت لأب وأم أو لأب مع ابن، ولا مع ابن ابن وإن سفل، ولا مع أب، وقد أجمع أهل العلم على ذلك .
- من المسائل المتعلقة بأحكام الكلالة:

١. المسألة المشتركة: والتي تسمى بالمشتركة، وبالحمارية وبالحجرية، وباليمية [١] وهي: (امرأة توفيت وتركت زوجا، وأما أو جدة، واثنان من ولد الأم، وواحد أو أكثر من ولد الأبوين) فاختلف العلماء في هل يرث الإخوة لأب وأم مع الإخوة لأم، أم لا ؟ إلى قولين:

(١) راجع ص٢٧، لمعرفة سبب التسمية، الهامش.

والقول الراجح أن الإخوة لأب وأم يشاركون الإخوة لأم ، فتكون المسألة على النحو الآتي: للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولأولاد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم، وهذا هو قول جمهور العلماء .

٢. ميراث الأخوات مع البنات: الجمهور من العلماء من الصحابة والتابعين يجعلون الأخوات عصبة البنات وإن لم يكن معهن أخ، أي أن الأخوات يرثن مع البنات، غير ابن عباس، فإنه كان لا يجعل الأخوات عصبة البنات، وإليه ذهب داود الظاهري.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور، والسنة تدل على ذلك، عن أبي قَيْسٍ «سمعت هُزَيلَ بن شرحبيل قال: (سُئلَ أبو موسى عنِ ابنةٍ وابنةِ ابن وأُختٍ، فقال: للابنةِ النِّصف وللأُختِ النصف وائتِ ابنَ مسعودٍ فسيتُابعني، فسئل ابن مسعود وأُخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللتُ إذاً وما أنا منَ المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبيُّ ﷺ : للابنةِ النصف ولابنةِ الابن السدس تكملةَ الثلثينِ وما بقيَ فللأختِ، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقولِ ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبرُ فيكم .)[1]

(١) سبق تخريجه.

وأخيراً: فإن الله سبحانه وتعالى فرض فرائض، وحد حدودا، ووضع شرائع لئلا نضل عن الحق بعد البيان، فهو جل وعلا عالم بعواقب الأمور ومصالحها، وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى.

لذا يجب على جميع المسلمين الانقياد لأوامر الله، وتنفيذ أحكامه، والبعد عن التشريعات الزائفة التي ينشرها أهل الفساد، وإعطاء كل ذي حق حقه مما فرض له، ذكرا كان أو أنثى، فالإسلام دين العدل والمساواة، فقد أعطى المرأة حقوقها كاملة، دونما حيف أو ظلم، وما يقال من أن المرأة مهضومة الحقوق، إنما ذلك ناتج من تصرفات البشر، لقصر فهمهم وقلة علمهم بحقوق المرأة في الإسلام.

- إن الله سبحانه سن سننا وشرع أحكاما صالحة لكل زمان ومكان؛ فالقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم الخالد للناس، ففيه من التشريعات والأحكام ما يصلح لهذا الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، لذا علينا أن نتعلم القرآن ونعمل به، ونعلم غيرنا، وننشر هذا العلم النافع لكي نقيم الحجة على الآخرين.
- يجب على العلماء والباحثين بذل الجهد في إبراز ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم وما اشتملت عليه السنة النبوية من التشريعات والأحكام، وإنزالها إلى واقع الناس، لتطبيقها في معاملاتهم وحياتهم اليومية، كما يجب على أولى الأمر، العمل على تنفيذ ما جاء من أحكام وتشريعات في القرآن والسنة في واقع الناس، واتخاذ الوسائل المناسبة لتعريف الناس بها، وتفهيمهم المصالح المترتبة على تطبيقها في واقعهم ومعاملاتهم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المصادر والمراجع

١) الإجماع ، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، دار طيبة- الرياض- ط١(١٩٨٢م).

٢) أحكام القرآن ، لعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- (بدون تاريخ).
٣) أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص- دار الكتاب العربي- بيروت –لبنان(١٩٩٧م).
٤) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي- دار الفكر- بيروت -لبنان.
٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، ابن عبد البر- مؤسسة الرسالة-بيروت(بدون تاريخ الطباعة).
٦) البحر الرائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم، دار المعرفة- بيروت- لبنان (١٩٩٣م).
٧) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي- دار الفكر،بيروت-لبنان- (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .
٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد ابن أحمد بن محمد القرطبي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١ -(١٩٩٦م).
٩) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي- دار إحياء التراث العربي- بيروت –لبنان- الطبعة الرابعة.

١٠) تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي- دار اكتب العلمية - بيروت- لبنان- (١٩٨٨م).

١١) تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي- دار الفكر— بيروت- لبنان.

١٢) تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الكتب العلمية- بيروت —لبنان- (١٩٩٣م).

١٣) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد جرين الطبري-دار الكتب العلمية-بيروت— لبنان— ط١ —(١٩٩٢م- ١٤١٢هـ)، ودار المعرفة —بيروت- لبنان-(١٩٨٦م).

١٤) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي— دار الفكر — بيروت-لبنان-(٢٠٠٢م).

١٥) التفسير الكبيرأو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي-دار الكتب—بيروت-ط١،(١٩٩٠م).

١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي - مكتبة السواد- بيروت- لبنان.

١٧) التنبيه في فروع الفقه الشافعي، لأبي إسحاق الشيرازي، دار الفكر ، بيروت- لبنان- ط١ -(١٩٩٦م).

١٨) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث- القاهرة- (بدون تاريخ الطبعة).

١٩) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير،محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط١(١٩٩٦م)

٢٠) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي ﷺ، وهو شرح مختصر المزني،لأبي الحسن علي بن محمد بن جبيب الماوردي - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-(بدون تاريخ الطبعة).

٢١) رد المحتار على الدر المختار،المعروف بحاشية بن عابدين،محمد أمين بن عمر الدمشق- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- (١٩٩٨م) .

٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الأولوسي البغدادي- دار الفكر-بيروت- لبنان(١٩٩٣م-١٤١٤هـ)

٢٣) الروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي- المكتبة العصرية —بيروت- ط١ -(١٩٩٦م).

٢٤) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي- المكتب الإسلامي- ط٤-(١٩٨٧م).

٢٥) سنن ابن ماجة، أبي عبد الله بن محمد بن يزبد القزويني، دار الفكر- بيروت- لبنان،-ط١ -(٢٠٠٣م).

٢٦) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستانين، دار الفكر- بيروت- لبنان.

٢٧) سنن الترمدي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الفكر- بيروت- لبنان،-ط١ -(٢٠٠٢م).

٢٨) سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي السمرقندي- دار الكتب العلمية-بيروت.

٢٩) السنن الكبرى ، البيهقي، أحمد بن علي بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان.

٣٠) شرح التنبيه، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، دار الفكر- بيروت- لبنان،-ط١ -(١٩٩٦م).

٣١) شرح الرحبية في علم الفرائض، لسبط المارديني، دار القلم- دمشق- ط٣- (١٩٨٦م).

٣٢) شرح الزرقاني على الموطأ،محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقَاني، دار الفكر-بيروت- لبنان.

٣٣) الشرح الكبير، للإمام شمس الدين أبي الفرج المقدسي- دار الحديت- القاهرة-ط١-(١٩٩٥م)

٣٤) شرح النووي على صحيح مسلم، يحيىَ بن شرف بن مري بن حسن النووي-دارالفكر —بيروت- لبنان.

٣٥) الصحاح في اللغة والعلوم، العلامة الجوهري- دار الحضارة العربية- بيروت . (بدون تاريخ الطبعة).

٣٦) صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري- المكتبة العصرية —بيروت- ط١-(١٩٩٧م).

٣٧) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-(١٩٩٢م).

٣٨) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، العمر بن محمد بن أحمد أبو حفص النسفي، دار القلم ، بيروت- لبنان- ط١ -(١٩٨٦م).

٣٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل شهاب الذين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الفكر- بيروت- لبنان-(١٩٩١م)

٤٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،لمحمد بن علي الشوكاني،دارابن كثير- ودار الكلم الطيب- بيروت-ودمشق-ط١ (١٩٩٤م).

٤١) الكافي، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي- بيروت(١٩٨٨م).

٤٢) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان-بيروت- (١٩٩٠م).

٤٣) كشاف القناع عن متن الإقناع ،لمنصور بن يونس البهوتي، دار الفكر- بيروت- لبنان-(١٩٨٢م) .

٤٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوايل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري،-دار الكتاب العربي-بيروت- لبنان- ط١ (١٤١٨هـ-١٩٨٧م) .

٤٥) لسان العرب لابن منظور – دار إحياء التراث العربي- بيروت- -ط٣-(١٩٩٧)م.

٤٦) المبدع شرح المقنع، لإبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح-المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

٤٧) المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان-(١٩٩٣م).

٤٨) المجموع شرح المهذب،لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي-دار إحياء التراث العربي -بيروت-لبنان-(١٩٩٥م).

٤٩) المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان.

٥٠) مختصر الخرقي، لأبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي،المطبوع مع شرحه المغني- دار الحديث- القاهرة-ط١-(١٩٩٥م) .

٥١) مدارك التنزيل في تفسير القرآن، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس- بيروت- لبنان.

٥٢) المدونة الكبرى، للإمام ملك بن أنس الأصبحي، رواية سحنون عنه، دار الفكر –بيروت–لبنان.

٥٣) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي–بيروت- لبنان.

٥٤) المصباح المنير، لأحمد محمد بن علي المقري الفيومي –المكتبة العلمية- بيروت- لبنان .

٥٥) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي–دار المعرفة- بيروت(١٩٨٥)

٥٦) المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار- مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات- دار إحياء التراث، بيروت- ط ٢.

٥٧) مغني المحتاج بشرح المنهاج، في الفقه الشافعي ،لمحمد الخطيب الشربيني، - دار الفكر–بيروت- لبنان- (١٩٩٥م)

٥٨) المغني، لموفق الدين أبي محمد بن قدامه، المطبوع مع الشرح الكبير للإمام شمس الدين أبي الفرج المقدسي- دار الحديث- القاهرة–ط١–(١٩٩٥م) .

٥٩) المنتقى ، شرح موطأ الإمام مالك، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي- دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان- ط٤، (١٩٨٤م).
٦٠) المنهاج، لأبي بكر زكريا بن شرف النووي،المطبوع مع شرح مغني المحتاج - دار الفكر-بيروت- لبنان- (١٩٩٥م)
٦١) المهذب، لأبي إسحاق محمد إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ،دار إحياء التراث العربي- لبنان -بيروت-(١٩٩٥م).
٦٢) المواريث الإسلامية، لأحمد كامل الخضري -دار التحرير للطبع والنشر- ط٣
٦٣) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، لمحمد بن محمد المغربي الخطابي- دار الفكر- بيروت- ط٣- (١٩٩٢م).
٦٤) الموطأ، للإمام مالك بن أنس ، برواية يحي بن يحي بن كثير الليثي – دار الفكر- بيروت – لبنان ط (١٩٨٩م).
٦٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري- مكتبة دار الباز – مكة المكرمة- ط١(١٩٩٤م)

فقه الحرب النفسية

في ضوء سورة الأنفال

(إعادة نشر بسبب أخطاء فنية)

الدكتور / أحمد صالح قطران

أستاذ الفكر الإسلامي وأصول الفقه المساعد

بكلية التربية ــ جامعة صنعاء

فقه الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال

د. أحمد قطران
كلية التربية . جامعة صنعاء

المقدمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه خلق الإنسان وعلمه البيان يعلم ما تخفي الصدور القائل:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) الشمس، واصلي واسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين القائل(نصرت بالرعب)[١].

وبعد

تعد الحرب النفسية ذات أثر فعال في حسم المعارك لصالح المتمكن من إدارتها بشكل متقن ، وكانت العمود الفقري في مسيرة الجهاد الإسلامي من بداية ظهور الدعوة الإسلامية، وقد استخدمها الإسلام ضد خصومه استخداما رائعا بلغ بها الذروة من حيث الأخلاق العالية التي صاحبت استخدامها ،وكان لها ابلغ الأثر في بث الرعب في نفوس خصوم الإسلام في كل عصر من عصوره إلى يومنا هذا، والقرآن الكريم وهو المنبع الصافي للأحكام الشرعية في كل المجالات زخرت آياته بكثير من الصور التي أثرت على خصوم الإسلام نفسيا بمجرد سماعهم لها .

واليوم وأمتنا تعيش مرحلة من أحلك مراحلها الاقتصادية والعسكرية والسياسية ـحيث أضحى دم المسلم ارخص الدماء وماله ارخص الأموال وأصبح الخصوم

---

[١] رواه البخاري ١٠٨٧/٣ رقم ٢٨١٥، ومسلم ٣٧٢/١ رقم ٥٢٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يتلذذون في إيذاء المسلمين وتوجيه الضربة تلو الضربة في كل مكان من العالم حيث هُزم المسلمون من داخلهم، واستطاع عدوهم أن ينال منهم نيلا. لذلك نحن بحاجة ماسة إلى العودة إلى المنبع الصافي لمعرفة كيف أدار الإسلام معركته مع الخصوم، وسورة الأنفال ــ وهى التقرير الميداني لمعركة بدر الكبرى ــ ترسم منهجا واضحا للحرب النفسية يجتهد الباحث في استجلاء بعض معالمه، وقد قسمه إلى فصلين خصص أحدهما لمفهوم الحرب النفسية ودورها، والثاني لصور الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال راجيا من المولى سبحانه أن يوفق امتنا إلى كل خير، وان يأخذ بأيدي أبنائها إلى مواطن العزة والكرامة والله اكبر والعزة لله ولرسوله والمؤمنين.

القسم الأول: الحرب النفسية مفهومها ودورها

أولا: مفهوم الحرب النفسية

تعرف الحرب النفسية بـ(الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي إليها من الإجراءات الموجهة على الدولة المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة (المواجهة) أهدافها)[١] وقيل هي: (الاستخدام المدبر لفعاليات معينة معدة للتأثير على أراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب أو الطوارئ، ويستهدف منها إضعاف معنوياتهم، وتغيير منهج تفكيرهم بشكل يحقق مصالح العدو في القضايا التي يجري الصراع من أجلها، وهي تشمل بمعناها الواسع استخدام علم النفس لخدمة الحرب بأساليب الدعاية، الإشاعة، المقاطعة الاقتصادية، المناورة السياسية مع ما يكملها من الأعمال العسكرية الرادعة)[٢] وقيل: (استخدام مخطط – من جانب دولة أو مجموعة من الدول في وقت الحرب أو في وقت السلام – لإجراءات إعلامية، بقصد التأثير في أراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية أو محايدة أو صديقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة) وقيل هي: (إجراءات تهدف إلى شل إرادة الخصم وتحطيم رغبته في القتال بإيصاله إلى وضع لا يرى فيه أي أمل للنصر) وقيل أيضاً (هي استخدام أية وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أية جماعة لغرض عسكري معين).[٣]

ومما سبق يستنتج الباحث:

---

(١) محفوظ ، محي الدين علي : مدخل إلى العقيدة والإستراتيجية ،الناشر، دار الاعتصام القاهرة، ط/٢ ص ١٤٧.

(٢) الزبيدي، كامل : علم النفس في الميزان العسكري، الدار العربية للموسوعات، ط/١ ١٩٨٨م ٧.

(١) نوفل،أحمد : الحرب النفسية ، دار الفرقان عمان الأردن، ط/٣ ١٩٨٧م، ١/ ٣٤، ٣٥.

أن الحرب النفسية هي: الأعمال الفكرية والثقافية التي تستهدف الروح المعنوية للخصم لإضعافها وتغيير وجهة العواطف إلى عكسها حتى لا يقوى الجيش وأنصاره على المواجهة فتكون النتيجة تحقق الأهداف المطلوبة من خلال هذه الوسيلة الفعالة، ويختلف هدف الحرب النفسية باختلاف المخاطب بها.

(فمع الدولة المعادية: يكون الهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدولة وجيوشها لتحطيم روحها المعنوية وإرادتها القتالية وتوجيهها نحو الهزيمة، ومع الدولة المحايدة: يكون الهدف التأثير على عواطف، وأفكار وسلوك شعوب هذه الدولة لتوجيهها نحو الانحياز للدولة المواجهة، أو التعاطف مع قضيتها، أو على الأقل البقاء في وضع الحياد ، ومنعها من الانحياز إلى الجانب الآخر، ومع الدولة الصديقة: التأثير على عواطف وأفكار وسلوك هذه الشعوب لتوجيهها نحو تدعيم أواصر الصداقة مع الدولة المواجهة ، ونحو المزيد من التعاون لتحقيق أهدافها)[١]

ثانيا: دور ومهام الحرب النفسية

الحرب النفسية سلاح فعال في المعارك، وهي أقوى تأثيرا من الحرب المادية ، وتنبع أهميتها_ من كونها أمضى سلاح_ تعلقها بما في النفس الإنسانية من ثبات وطمأنينة ووهن... الخ ،فالمعنويات المنهارة لا تستطيع الثبات وإن امتلكت أحدث الأسلحة، أو كانت أكثر عددا وعدة ممن يواجهها..،لذلك فهي أهم وسيلة تدعم وسائل الحرب الأخرى في استجلاب النجاح والنصر في المعارك؛ لانها توفر الكثير

(٢) الزبيدي: مصدر سابق، ٧.

من الخسائر في الرجال والعتاد والأموال ؛ لأن السيطرة على النفس تعني السيطرة على المعركة ، ويؤيد هذا ما قاله قادة عسكريون في العصر الحديث.

يقول تشرشل[١]: (كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ)،ويقول ديغول[٢] (لكي تنتصر دولة ما في حرب فإن عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى أرض المعركة، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوة حتى تنتهي من مهمتها) ويقول رومل[٣] (إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم) ويضيف الدكتور حامد زهران (وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفعال في قتل إرادة ومعنويات الخصم... والحرب النفسية من أهم موضوعات الساعة وهي أخطر أنواع الحروب)[٤]

وتحقق الحرب النفسية هدفها في تحطيم روح العدو المعنوية وإرادته القتالية من خلال المهام التالية :.

---

(١) ونستون تشرشل: أحد القادة البريطانيين ولد عام ١٨٧٤م في مقاطعة مالبورو البريطانية وكان من القادة المؤثرين في الحرب العالمية الثانية تولى رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع عام ١٩٤٠م وسقط حزبه بعد ذلك بسنة ثم عاد لرئاسة الوزراء عام ١٩٥١ واستقال من منصبه عام ١٩٥٥م ،كان سياسيا وأديبا توفى١٩٦٥م.ينظر: المنجد في اللغة والأعلام ١٧٤.

(٢) شارل ديغول : جنرال فرنسي ورجل دولة دعا إلى مقاومة الألمان ، ترأس الحكومة من عام ١٩٤٤ حتى ١٩٤٦ م ورئيس الجمهورية الخامسة من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٩م قدم استقالته واعتزل العمل السياسي عندما هزم مشروعه في تعديل الدستور الفرنسي عام ١٩٦٩م وتفرغ لكتابة مذكراته توفي عام ١٩٧٠م ينظر:المصدر نفسه ٢٥٤.

(٣) أرفين رومل : مارشال ألماني قاد الحملة الألمانية على أفريقيا، وفشل في معركة العلمين التي دارت أحداثها في صحراء أفريقيا بين الألمان والإنجليز، شك هاتلر في إخلاصه فأمره بالانتحار عام ١٩٤٤م. ينظر: المصدر نفسه ٢٧١،

(١) نوفل: مصدر سابق،١/ ٢٩-٣٠.

١- تشكيك العدو في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من أجله.
٢- زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقادة، وزعزعة ثقته في إمكانية إحراز النصر ، وإقناعه بأن لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال.
٣- بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته.
٤- التفريق بين العدو وحلفائه، ودفعهم إلى التخلي عن نصرته.
٥- تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها)[١]

ومن خلال ما سنعرضه من صور الحرب النفسية في سورة الأنفال كما تصورها الآيات(١٢-١٥-١٨-١٩-٣٦-٣٨-٤٣-٤٤-٥٧-٥٩-٦٠-٦٧)من السورة[٢] ندرك مدى تحقق هذه المهام ،وكيف وضعت السورة منهجاً عظيماً في الحرب النفسية أصبح نبراساً يسير على هديه المسلمون في حروبهم، حتى خرجت بعلم من أهم العلوم العسكرية ذات التأثير في حسم المعارك،وهو علم النفس العسكري أو الحربي، فإذا أضيف لها بعض المفاهيم التي وردت في سور أخرى[٣] ،سنجد علماً متكاملاً يدرس ،ويجلي تفاصيل النفس الإنسانية وما يؤثر عليها سلباً أو إيجاباً.

ثالثا: الحرب النفسية في صدر الإسلام

(٢) محفوظ : مصدر سابق، ص١٤٨.
(٣) موزعة على المطالب كما سيرى القارئ.
(١) صور الحرب النفسية مبثوثة في سور عدة في القران، كسورة البقرة، وسورة التوبة وسورة الفتح، وسورة محمد، وسورة المنافقين، وغيرها، واستقصاؤها يحتاج إلى بحث آخر وهوما نعد به إن أنسأ الله في العمر.

١ - المدخل

عرف الإسلام هذا السلاح الفتاك من أول أيام ظهوره فمن يقرأ السورالمكية يجد أن القرآن كان يسير باتجاهين.

الأول الاتجاه الداخلي: وهو بناء العقيدة والتربية الروحية، والتأكيد على رفع المعنويات، حتى وصل بالصف الإسلامي إلى أعلى مراتب الثبات المعنوي.

والثاني الاتجاه الخارجي: وهو تحطيم معنوية الخصم، إذ أتجه القرآن إلى تسفيه أحلام المشركين، والهجوم على معتقداتهم حتى أوصلهم إلى مرحلة الشك بل أوصل بعضهم إلى اليقين ببطلان تلك المعتقدات، ومن ثم أضعف معنوياتهم في الدفاع عنها، وإلى جانب ما كان يشنه من الهجوم المباشر على تلك المعتقدات كان يضرب الأمثلة المتتالية التي كانت تذكّر بمصير من يحملون معتقدات متشابهة لمعتقداتهم.(١)

ولما أنتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ونزل الإذن بالقتال في قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج/٣٩).

استخدم الحرب النفسية أسلوبا ثابتا ودائما (كاستراتيجية) في كل المعارك، وكان القرآن ينزل ليضيف أو يعدل أو يؤيد ذلك الأسلوب (الاستراتيجية) المستخدم.وفي

---

(٢) فكان يذكر القصص التي تشير إلى هلاك الأمم الذين كذبوا بالرسل كقوم نوح قال تعالى:﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ =(نوح/٢٥)، وقوم عاد قال تعالى:﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود/٦٠). وغيرهما من الأمم

المدينة المنورة تنوع الخصوم. ففي حين كانت قريش في مكة هي الخصم الوحيد أصبح الخصوم في المدينة ثلاثة أصناف:(مشركوا العرب بمن فيهم قريش، اليهود، المنافقون).

ومن خلال المطالب التالية نعرض لمعنويات الخصوم الثلاثة.

٢ - قريش ومن والاهم من مشركي العرب

تعد قريش الخصم الأول الذي أصطدمت به الدعوة الإسلامية في أول أيام نزولها،وهذا الخصم كما قلنا شن عليه القران حرباً نفسية أوصلته إلى حالة الصفر فيما يتعلق بالمعتقدات، فكل المعارك التي خاضتها قريش مع المسلمين ليست دفاعاً عن المعتقدات، بل إن المعتقدات كانت ثانوية[١].

فمعركة (بدر) مثلاً: كان دافع قريش اقتصاديا بحتا، وهو الدفاع عن القافلة أو حماية طرق التجارة[٢]، ومعلوم أن هذا الدافع كان تأثيره على الخاصة من قريش_ وهم من يملك المال_ فمعنويات هذا الفريق تنطلق من كونه يدافع عن ماله، بينما من لا مال له لا معنوية لديه فلماذا يقاتل ؟ .

---

(١) والقرآن الكريم وصف أفعالهم تلك بالصد عن سبيل الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء/٧٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال/٣٦)وقال تعالى: =﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال/٤٧)،وهو كذلك ، غير أننا نعني الأسباب المباشرة القريبة للمعارك ،والتي كانت مدار تعبئتهم المعنوية للجيش.

(١) ينظر: المبارك فوري، صفي الدين: الرحيق المختوم، دار القلم، بيروت، ط/١ ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م،٢٥٣.

لذلك كان جلُ قتلى المعركة من المشركين من علية القوم من الناحية الاقتصادية والسياسية.

ومعركة (أحد) كان الهدف هو الثأر لقتلى (بدر)، وهذا يتعلق بجانب العصبية والخوف من العار ، وهو أمر لا علاقة له بالمعتقدات إطلاقاً، وكان قادة المشركين عند التعبئة المعنوية يركزون على الثأر لأولئك القتلى ،ويركزون إلى جانب ذلك علىالمهدد الاقتصادي (قطع طرق التجارة)، بينما المعتقدات والدفاع عنها كانت بالمرتبة الثانية، ولما ظهر جيش المشركين في (أحد) على المسلمين بدت مسألة المعتقدات فقال قائلهم (اعل هبل)[١] في حين الحال على العكس لدى المسلمين حيث المعنويات المتجددة ، والتي تجعل المعتقدات أولاً ،وما سواها تابعاً لها، وظلت التعبئة المعنوية للمسلمين تنطلق من العقيدة لا غير[٢].

٣ - اليهود

اليهود هم الخصم(الفكري والعقدي) للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ولذلك ، فقد اختلفت مواجهتهم ، حتى أن معارك المسلمين مع اليهود تختلف اختلافا كبيراً عن معارك المسلمين مع قريش، لأن اليهود ينطلقون من (فكر وعقيدة)، وكانوا يرون لأنفسهم فضلاً على العرب ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩)، ومع امتلاك اليهود للعقيدة ، فقد كانت معنوياتهم في الحضيض ، لدرجة أنهم لم يثبتوا ثبات قريش ، مع أنهم كانوا يملكون من العدة والعتاد ما لا تملكه

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١/٧ رقم ٣٦٧٨٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٠٩ وقال: رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه ، وينظر أيضا المبارك فوري مصدر سابق ٢٥٣.

(١) الجبوري ، نهاد شهاب:العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دارالحرية، بغداد ١٩٨٧م،٣٥.

قريش، بل مالا يملكه العرب مجتمعون ، فقد غنم المسلمون من اليهود أكثر مما غنموا من مشركي العرب، وتعود تحطم الروح المعنوية لدى اليهود من وجهة نظرنا إلى أسباب أهمها:

- معرفتهم من خلال كتبهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام/٢٠) فكون الخصم يحارب،وهو يعلم بصدق ما يدعيه خصمه، وكذب ما يحمله هو، فإن ذلك يعني اليقين بالهزيمة، وهو ما كان عليه اليهود.

- شهودهم ومعرفتهم لما دار بين المسلمين ومشركي العرب من المعارك، وما آلت إليه تلك المعارك، وهذا دمر معنوياتهم بشكل جعلهم يصلون إلى مرحلة اليقين بعدم القدرة على مواجهة المسلمين مما حدا بهم إلى تحزيب الأحزاب والتحالف مع الوثنيين بكل قبائلهم ضد المسلمين، كما حدث في غزوة الخندق بل وصل بهم الأمر حد قيامهم بتعبئة مشركي العرب، والشهادة بأن ما يعتقد ونه من الوثنية أهدى مما جاء به محمد ﷺ ، وقد صور القرآن هذا فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (النساء/٥١).

- الطبيعة التي جبلوا عليها من الجبن والذل، فقد وصفهم الله بذلك قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ (البقرة/٦١)،

وقال تعالى: ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/١٤).

٤ - المنافقون

وهم الخصم الثالث لرسول الله وأصحابه، وهذا الخصم كانت الروح المعنوية لديه في أدنى مستوياتها، الأمر الذي جعلهم يلجاؤن إلى أسلوب الخيانة والتلصص والكذب والكيد والمخادعة، وهذا لا يلجأ له إلا من كان علي يقين أنه لا يستطيع المواجهة- لا أعني المواجهة العسكرية بل وحتى المواجهة الكلامية_ ولذا فقد أظهر المنافقون خلاف ما يبطنون ولكن القرآن فضحهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون/١)، ووصل بهم الحال إلى تشجيع غيرهم خفية على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، والوعد كذباً بنصرتهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الحشر/١٣).

فهذه الروح المعنوية الخائرة لدى المنافقين ترجع إلى أسباب نذكر منها:

١- حضورهم بعض المعارك التي خاضها المسلمون مع المشركين واليهود، ذلك الحضور الذي رأوا فيه الموت المحقق، وشاهدوا شدة بأس المسلمين مع عدوهم في المعارك. مما جعلهم لا يفكرون مجرد التفكير بالمواجهة الكلامية فضلا عن المواجهة العسكرية.

٢- غياب المستند العقدي والفكري (الأيدلوجي) لهم ، فإذا كان اليهود يحملون عقيدة، والمشركون يحملون عقيدة _رغم انحراف تلك العقائد _ فالمنافقون لا يحملون أي عقيدة ، وكان منطلقهم هو الكبر والحقد والغل ضد الإسلام والمسلمين ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (المنافقون/٨).

٣- قلة أعدادهم فهم- مقارنة بأعداد المشركين أو اليهود أو المسلمين- قلة قليلة لذلك كان لسان حالهم يقول : إذا كان اليهود والمشركون قد هُزموا أمام المسلمين فكيف بنا ونحن أقل عدداً وعدة. ؟

٤- تعرية القرآن لهم، حيث أكتفى الإسلام بمواجهتهم إعلامياً ، ولم ستخدم ضدهم أي إجراء مادي على الإطلاق، حتى حد القذف لم يقم على من خاض في حادثة الإفك منهم ، مع إقامته على من خاض فيه من المسلمين [١]. واكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان ينزل من القران لفضحهم في كل تحركاتهم، واستخدم ضدهم الحرب النفسية فقط ، إلى الحد الذي جعلهم يرتجفون من كل شيء وجعلهم يعيشون في قلق وتوتر دائم صور القران حالهم بقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون/٤).

القسم الثاني: النماذج والصور

أولا: الحديث عن هزيمة الخصم لتدمير معنوياته قبل المعركة

١- صورة من واقع مشركي قريش

تتمنى كل الجيوش في كل الدنيا قبل خوضها للمعارك أن يكون الخصم مضطرب المعنويات ضعيف التعبئة ، لأن ذلك سيساعدها على الانتصار عليه وهزيمته، لذا تحرص تلك الجيوش على بث الإشاعات وإرسال المعلومات التي من

(١) المباركفوري، مصدر سابق ٣٠٥. ك(مسطح، وحسان، وحمنة)

شأنها تدمير معنويات الخصم، وتثبيط عزيمته، وومن أجل ذلك تنفق الأموال الكثيرة في مجال الحرب النفسية، وتتركز الجهود بشكل مكثف قبل الدخول في المعركة ، حتى وإن كان الجيش يضمن النصر إلاّ أنه يتجه إلى الحرب النفسية ليضمن ليس الانتصار فقط ، ولكن ليضمن إلى جانب ذالك سرعة الحسم[١]، وقد ركز القرآن على تدمير معنويات الخصوم ، وتحدث عن هزيمتهم عسكرياً بصيغة الجزم المستقبلي قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر/٤٥)، فهذه الآية نزلت بمكة، قال الطبري فهزم المشركون يوم بدر[٢]،وقال القرطبي: كان ذلك يوم بدر[٣] ، وسورة الأنفال اهتمت بهذا الأمر اهتماما بالغاً، فالحديث عن الهزيمة المسبقة للخصم بالشكل الجازم الذي استخدمه القرآن له وقع السحر على الخصوم قبل الدخول في المعركة، بل وقبل التفكير في خوضها إذ تنهار معنوياته إلى درجة أنه يدرك الهلاك ، وكفى بهذا الشعور في تحطيم المعنويات.

---

١) الجبوري : مصدر سابق٣٦

(١) الطبري ، الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبوجعفر ت ٣١٠: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٢٧/ ١٠٨

(٢) القرطبي، الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله ت ٦٧١هـ: الجامع لأحكام لقرآن،تحقيق أحمدعبد العليم البردوني، دار الشعب القاهرة، ط/١٣٧٢،٢هـ،١٧/.١٤٥

(٣) رواه البخاري، ٩٤/١، رقم ٢٣٧،و مسلم، ١٤١٨/٣، رقم ١٧٩٤، ينظر أيضا: صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ت ٦٧٦هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٣٩٢هـ، ط/٢ ،١٥٣/١٢.

والسيرة النبوية أوردت أمثلة حقيقية في هذا المجال نذكر منها:
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على نفر من قريش بالهلاك فهلكوا قتلاً بأيدي المسلمين في(بدر)، ونذكر هنا جزءا من الحديث الذي رواه ابن مسعود حيث قال أن رسول الله ﷺ دعا على قريش فقال :(للهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر)[١] وهؤلاء الذين ذكروا كلهم قتلوا في (بدر) عدى أبي بن خلف إذ قتل في (أحد)، وله قصة أوردها المحدثون ، وهي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال عنه في مكة إني أقتله إن شاء الله ، وكان قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبيا :حلف ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء يوم (أحد) عازما على إبرار قسمه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم انتزع حربة فرماه بها فسقط من على فرسه، وجره أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا ما بك إنه جرح هين ؟ فقال والله

١) رواه البخاري، ٩٤/١، رقم ٢٣٧،و مسلم، ١٤١٨/٣، رقم ١٧٩٤، ينظر أيضا: صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ت ٦٧٦هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٣٩٢هـ، ط/٢ ،١٥٣/١٢.

لو نظر إليّ محمد لقتلني، وفي رواية أخرى والله لو تفل عليَّ محمد لقتلني، ومات في الطريق إلى مكة...[١]

٢- حتمية خسارة المال والهزيمة وعذاب الآخرة

الآية قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ تحدثت الآية عن

---

٢) وهنا نسرد جزءا من الروية وهو ما يتعلق بأبي بن خلف (وأما أبي بن خلف ، فقال والله لأقتلن محمدا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله قال فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن خلف فقيل إنه لما قيل لمحمد ﷺما قلت قال: بل أنا أقتله إن شاء الله فأفزعه ذلك وقال أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال نعم فوقعت في نفسه، لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول قولا: إلا كان حقا ، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه فيحول رجل من المسلمين بينه، وبين النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه خلوا عنه فأخذ الحربة ، فجزله بها يقول رماه بها ، فيقع في ترقتوته تحت تسبغة البيضة ، فوقع الدرع ، فلم يخرج منه كبير دم ، واحتقن الدم في جوفه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه =حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا ما هذا فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني أليس قد قال: أنا أقتله إن شاء الله،والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم. قال فما لبث إلا يوما أو نحو ذلك حتى مات إلى النار، فأنزل الله فيه ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان/٢٧) ، رواه الإمام عبد الرزاق في المصنف، ٥/ ٣٥٧ ،رقم ٩٧٣١ عن مقسم مولى بن عباس رضي الله عنهما، ورواه الحاكم، في المستدرك، ٢/ ٣٥٧، رقم ٣٢٦٣ ،عن سعيد بن المسيب عن أبيه ،وقال صحيح على شرط الشيخين، و ينظر أيضا: ابن القيم، الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله ت ٧٥١هـ : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت ،الكويت، ط/٤ ،١٤٠٧هـ . ١٩٨٦ م ، ٣/٢٠٩.

ثلاث نتائج من نتائج إنفاق المشركين لأموالهم للصد عن سبيل الله الأولى: أنها تكون عليهم حسرة، والثانية: أنهم يغلبون، والثالثة: أنهم يحشرون إلى جهنم ، وهنا يبرز تساؤل لماذا قدم الحسرة على الغلب في السياق.؟ إذ المفترض أن تكون الحسرة نتيجة الغلب ؛ لأن المنفق عندما ينفق ماله لشيء ما، فإنه ينتظر النتيجة منه، فإذا كانت إيجابية فرح وانتشى، وإذا كانت سلبية تحسر على ما أنفق، وعلى هذا كان المتوقع أن يكون السياق فسينفقونها ثم يغلبون ثم تكون عليهم حسرة... الخ فما الحكمة من تقديم الحسرة في السياق على الغلب.؟

أقول والله أعلم: إن المشركين بما جبلوا عليه من تحكم غريزة حب المال [١] المعنية بقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر/٢٠) على قلوبهم لا ينفقون إلاّ كرها على أنفسهم وعليه، فالمنفق لماله ، وهو بهذه النفسية الهلوعة ينفقه، ثم يتحسر عليه ابتداء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، فإن المشركين عندما يرون أموالهم وهي تتجه وتسير إلى الإتلاف المحقق في مواجهة الحق يتحسرون عليها فكأنه يقول: إنهم ينفقون أموالهم مع تيقنهم من الخسارة ذلك يصيب أنفسهم بالحسرة ، كونهم يعلمون عدم الجدوى من الإنفاق، فذكر القرآن الحسرة ،ثم أردف قائلاً (ثم يغلبون)، فتصير الحسرة حسرتين: حسرة على إنفاق المال وحسرة من الغلب (الهزيمة).

(١) لأن حب المال غريزة إنسانية يستوي فيها المسلم وغير المسلم، والفارق هو تحكم المسلم بها وتحكمها بغير المسلم.

والحسرة لاشك وضع نفسي تدميري، والقرآن بهذا التعبير يدمر معنويات جزء كبر من جيش الخصم ، وهذا الجزء هم المِمَولُون (بكسر الواو) وهؤلاء إن دمرت معنوياتهم وخارت عزائمهم أحجموا عن القتال، فإذا أحجم هذا الفريق عن القتال كان غيره أكثر إحجاماً، لأن الممول المفترض منطقياً أن يكون أكثر إقداماً لأنه إذا أحجم كان أكثر الناس خسارة في حالة الغلب، إذ أنه في حالة النصر سيرجع إليه ماله ،ومثله ، وربما أكثر، وفي حالة الهزيمة يخسر المال، فيكون متحسراً ومغلوبًا، أما غيره وهم المِمَوَلون (بفتح الواو) ، فإن إقدامهم يتوقف على إقدام الفريق الأول، فإذا أحجم كانوا أكثر إحجاماً ؛ لأنهم أقل خسارة من غيرهم فهم في حالة النصر سيأخذون مالاً دون أن ينفقوا شيئاً، وقد يتساوون مع من أنفق في الأنصبة، وفي حالة الهزيمة –إذا لم يقتلوا أو يجرحوا أو يؤسروا– لم يخسّروا شيئاً فهذا _والله أعلم_ هو سر تقديم الحسرة في السياق على الغلب، فالحسرة الأولى للفريق الأول المِمول على ما أنفق ، ثم الحسرة الثانية بسب الهزيمة للجميع أي للفريقين،و مصيرهم جميعاً إلى جهنم.

إذاً ، فهذه الآية تتحدث عن خبايا النفوس المشركة التي تنفق المال للصد عن سبيل الله ، وهي وإن كانت تنفق المال لذلك الهدف ، فهي تشعر في مكنونها بأنها تسير بأموالها إلى التلف، وهذا الشعور نجح الإسلام في غرسه في نفوس أعدائه على مدار التاريخ.

٣- الترغيب والترهيب

الآية ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال /٣٨)هذاأسلوب القرآن البديع: فإنه عندما يتحدث عن مصير المعاندين والمحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك المصير على وجه الحسم والجزم ،ولكن قبل الحديث عن المصير المحتوم يفتح لهم باباً واسعاً للانتظام في صف عباد الله دون محاسبتهم عما اقترفوا بحق المسلمين عندما كانوا كفارا ويعتبر هذا الأمر أعظم عاملٍ في إطماع النفوس في المجيء إلى الإسلام والدخول فيه ،إذ يجد العدو نفسه أمام عفو مطلق لا يتحمل معه أي تبعة لأي شيْ مضى قبل إسلامه ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أسلم من أسلم ممن حارب الإسلام في (بدر)، (وأحد) ،وغيرهما...،والإسلام أعظم نظام عرفته البشرية، فقد حورب حرباً شعواء ، وقُتل كثير من خيرة أتباعه على أيدي رجال أ سلموا ، فيما بعد وحسن إسلامهم وصاروا سيوفاً من سيوف المسلمين، فلو كان من شارك في معركة أحد في صف المشركين – كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما– يعلم أنه إذا جاء إلى النبيﷺ مسلما سيعاقبه – ولو بعقوبة بسيطة – ما أتى ولكنه علم أن الإسلام يجب ما قبله ،وهذا الأمر له أثره الكبير في تشجيع من كان في صف المشركين أن يأتي مسلما (إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) فهذه الآية تؤثر في معنويات الخصم من عدة جوانب منها:

– أنها تفتح الباب للعقلاء من الخصوم بالانضمام إلى صف المسلمين، لمعرفتهم أنهم لن يلقوا إلاَّ الحفاوة والترحاب، والفرح بإسلامهم، وإن كانوا قد حاربوا المسلمين من قبل، وقتلوا عدداً من المسلمين في المعاركفإنه (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) (الأنفال ٣٨)

– أن هذا الأمر أصاب قادة العدو بنوع من الاهتزاز في التصرفات، واتخاذ القرار،إذ أدرك أولئك القادة أن أفراد معسكرهم إذا أحسوا بالظلم أو المضايقة سيتجهون إلى المعسكر الإسلامي الذي سيستقبلهم بالحفاوة والترحاب ، فيضطر أولئك القادة إلى كثير من المجاملات الزائدة ويتجنبون الاحتكاك المباشر مع الجنود خوفاً عليهم من الفرار، وهذا الأمر له أثره النفسي إذ يصيب القادة بفقدان الثقة بالجنود وهي أهم نتيجة تتوخاها الحرب النفسية.

– ومن ذالك أن معنويات جموع الخصم تهتز عندما يتسرب الأفراد باتجاه المعسكر الإسلامي، فيحدث فيه التزايد بينما يحدث التناقص في معسكر المشركين، ولهذا هزمت قريش معنوياً أكثر من هزيمتها مادياً ،فعندما رأت أهم قادتها وقد اسلموا وانضموا إلى المعسكر الإسلامي، وأصبحوا قادة في جيش الإسلام خارت عزيمتها، ولم يجد (أبو سفيان)عبارة يقولها لقريش يوم فتح مكة سوى:(يا قريش هذا محمدا قد جاءكم بما لا قبل لكم به)[1].

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٦/ ١٦٧ ، من حديث طويل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

يقول ابن كثير[١]: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا) أي عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) أي من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم. كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها)[٢]، وقوله تعالى: (وَإِنْ يَعُودُوا) أي يستمروا على ما هم فيه (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أي فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة قال مجاهد[٣]: في قوله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ) أي في قريش يوم (بدر) وغيرها من الأمم) وقال الإمام الشوكاني[٤]: (وفي هذه الآية دليل على أن الإسلام يجب ما قبله ــ وإن يعودوا ــ إلى القتال والعداوة أو إلى الكفر الذي هم عليه ويكون العود بمعنى الاستمرار ــ فقد مضت سنة الأولين ــ هذه العبارة مشتملة على الوعيد، والتهديد

(٢) ابن كثير، الإمام أبي الفداء اسما عيل القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ : تفسير القرآن العظيم – المشهور بتفسير ابن كثير – ، دار المعرفة، بيروت، ط/٢ ،١٩٨٩ م، ٢/ ٣٢٠، ٣٢١

(٣) واه مسلم ١١٢/١ رقم ١٢١

(٤) مجاهد : الإمام شيخ القراء والمفسرين مجاهد بن جبر وقيل بن جبير أبو الحجاج المكي الأسود مولى عبد الله بن السائب تابعي جليل سمع من بن عباس وبن عمر، وعن كثير من الصحابة قال عن نفسه عرضت =القران على بن عباس ثلاثين مرة مات رحمه الله سنة ١٠٣ هـ ينظر ترجمته في : التاريخ الكبير، للبخاري، ٧/ ٤١١ ،والكنى والأسماء، لمسلم، ١/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٤٩/٤.

(١) الشوكاني، محمد بن علي. ت ١٢٥٠هـ: فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية في علم التفسير، دار الفكر، بيروت،١٩٨٣م، ٢/ ٣٠٨.

والتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب أي قد مضت سنة الله ، فيمن فعل مثل هؤلاء من الأولين من الأمم أن يصيبه بعذاب فليتوقعوا مثل ذلك).

أقول هذه الآية تسير باتجاهين احدهما: التعبئة المعنوية للمسلمين ، والآخر تحطيم معنويات الخصوم وسد كل الطرق أمامهم إلا طريق الإسلام أي الدخول فيه، وعجز الآية يتحدث عن المصير المحتوم بصيغة التحقيق على اعتبار أنها سنة ماضية أي قانون سار إلى الأبد ، وهي تحمل حقيقة أنهم لن يجنوا خيراً من حربهم للإسلام ،فإن من حارب الحق المنزل من الله سبحانه لم يجن خيراً وكان مصيره الهزيمة والعذاب، وهذه الحقيقة لها من التأثير على النفس مالها إذ أن من يدخل المعركة، وهو متوقعُ للهزيمة-ولو بنسبة بسيطة- فإن معنوياته لاشك في هبوط، إذ تظل تلك النسبة في ازدياد مستمر حتى تنتهي إلى الهزيمة الفعلية، فكأن القرآن يقول: أيها المعاندون لن تكونوا أقوى من فرعون، والنمرود وغيرهما ممن حارب الله ورسله على مر العصور حيث هزمهم الله ونصر رسله، وهي حقيقة أكدها الله سبحانه بقوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة ٢١).

٤- التحذير من مغبة التمادي في حرب الله

الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ٥٩).

تطلق الآية تحذيراً وتهديداً للمحاربين للإسلام الذين يريدون إعادة الكرة لحرب المسلمين ، وأولئك الذين تعنيهم الآية هم الذين أفلتوا من معركة سابقة، إما لهربهم، أو لعدم حضورهم ، فتولد لديهم التحدي، لمواجهة المسلمين، فهذه الآية تقول لهم

: وإن كنتم قد أفلتم من المعركة السابقة ، فإن ذلك لا يعني إفلاتكم من البطش، وأن الله عاجزٌ عن الإحاطة بكم، كلاَّ فإنكم لا تعجزونه أبدا ،و الآية وإن كانت تعني من لم يحضر معركة (بدر)، إلاّ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما هو معروف. قال ابن كثير: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾ سبقوا أي فاتونا ، فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا، وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا وهي كقوله ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (العنكبوت/٤) أي يظنون)[١].

وقال الإمام الشوكاني: (أي أنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم... وقيل المراد بهذه الآية من أفلت من وقعة (بدر) من المشركين، والمعنى: إنهم وإن أفلتوا من هذه الوقعة ونجوا ، فإنهم لا يعجزون، بل هم واقعون في عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة ،وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ[٢] عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾ قال: (لا يفوتونا)[٣].

(١) ابن كثير: مصدر سابق، ٢/ ٣٣٤.

(١) أبو الشيخ: حافظ أصبها ن ومسند زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري صاحب المصنفات السائرة ويعرف بابي الشيخ ولد سنة أربع وسبعين ومائتين صنف التفسير والكتب الكثير في الأحكام وغير ها توفي سنة ٣٦٠ هـ ينظر: تذكرة الحفاظ، ٣/ ٩٤٥.

(٢) الشوكاني: مصدر سابق، ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

وقال عبد المنعم تغلب: (ولا يظنن من أمهل من الكفار فلم يعاجل ببطش الله أنه أفلت وفات من أن ينكل به، لأنه لن يعجز الله أن ينتقم منه، فهو سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيئ في الأرض ولا في السماء)[١].

أقول: تضطرب حسابات الجيوش ، وتهتز معنويات أفرادها بمجرد أن تسمع أن الخصم الذي تواجهه مسنود معنوياً (وهو التأثير الإعلامي والموقف السياسي) ممن هو أقوى منهما- أي من المقابلين _ بفتح اللام-، فكيف إذا هدد أنه يرصد تحركاتها، وأنه ليس غافلاً، بل وسيعاقب تلك الجيوش على اعتدائها، أو مواجهتها لحليفة .

لا شك أن معنويات تلك الجيوش ستهبط إلى الصفر، بل وقد تهزم أمام من هو أقل منها عدداً وعدة.

فالجيش العربي مثلا في حرب ١٩٦٧م كان أكثر عدداً وعدة، وأكثر تدريباً، بل كان أضعاف الجيش (الصهيوني) ، ومع ذلك هزم، وفي تصور الباحث أن تلك الهزيمة ترجع إلى عدة أسباب أهمها السبب المعنوي: وتأثر الجانب المعنوي للجيش العربي آنذاك يظهر في صورتين :

الصورة الأولى : استطاع العدو بوسائله المختلفة أن يثبت لدى الجيش العربي إنه إنما يحارب (أمريكا) وليس (الكيان الصهيوني) ، فتحطمت المعنويات ؛ لأنها كانت مبنية على القوة المادية فقط، والجانب المعنوي لديه هو حب التراب والحرب من

(٣) تغلب،عبد المنعم احمد:فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار السلام، ط/ ١، ١٩٩٥م ،٣/١٢٤٤،١٢٤٣

أجل التراب يختلف عن الحرب من أجل العقيدة (طلب الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله) من حيث الثبات ، فالجيش العربي آنذاك تساوى مع الجيش الصهيوني في التشبث بالحياة ، واختلفا في الحشد الإعلامي والسند المعنوي، فكان الجيش العربي يعتقد أنه يواجه أمريكا وهي أقوى مادياً ـ وهذا واقع ـ. وما دامت تساند إسرائيل فهي أقوى مادياً، وهذا من أهم الأسباب التي أدت إلى الهزيمة وسرت في الجيوش العربية مقولة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ (البقرة٢٤٩) أي لا طاقة لنا بأمريكا اليوم.

الصورة الثانية أن الجيوش العربية عندما غاب عنها الهدف الأسمى الذي من أجله تحارب انهزمت معنويا، إذ ماذا يعني الدفاع عن التراب ، فالتراب لن يكون أغلى من الروح، لكن الجندي الذي يدخل المعركة وهو يعتقد أنه يدافع عن ما هو أغلى من التراب[١] ومن النفس، وهو الدين، ويدخل إلى أرض المعركة بنفسية المتّيَقْن بالموت والاستشهاد معتبرا أن الحياة التي سينقلب إليها خير من هذه الحياة تلك والله هي أعلى المعنويات، وهي أقوى من الماديات فالمسلمون الأوائل كانوا أقل عدد وعدةٍ لكنهم كانوا أعلى معنويات من خصومهم فكان لهم النصر والمعارك في التاريخ أعظم الشواهد[٢] والآية﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ التي نحن

(١) لا يعني هذا الدعوة إلى التفريط بالأرض ، وإنما القصد سيادة العقيدة وحب الأرض لا يكون لذاتها وإنما لكونها مكان تطبيق الشريعة،وكونه يعبد الله فيها بحرية.

(٢) ينظر الجبوري:، مصدر سابق، ٢٩

بصدد الحديث عنها تقول: أيها الكفار لا تظنون أنكم بعيدون عن بطش الله بل إنه ينظر إليكم ، ويرصد تحركاتكم، وسيعاقبكم على محاربتكم لأوليائه، ومما لا شك فيه أن هذا الأمرعندما يصل إلى الخصم، فإنه سيدمر معنوياته بشكل كبير. إذ كيف تكون معنويات جيش يحارب خصماً يعلم علماً يقينياً أنه مسنود من القوي العزيز الذي لا يغلبه غالب؟ لا شك أنها ستكون في الصفر.

ثانيا: استغلال حالة الغرور المصطنع عند العدو

١ - المثال التاريخي

- عندما تتسرب معلومات عن خصمٍ ما إلى خصمه قبل الإعداد، مفادها أنه قليل العدد والعدة فعلياً[١] ، فإن تلك المعلومات المتسربة لها أثرها السلبي على الخصم المتسربة إليه إذ تعمل على تثبيطه عن الإعداد والاستعداد ، فيكون أقل من المطلوب، ويصاب بالغرور، ويحدث نفسه أنه قادر على حسم المعركة بأكل

(١) تلافياً عن المجاز المذكور في قوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ﴾ ٤٣)،وقوله ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ ٤٤)، إذ أن جيش الكفار كان أكبر عدداً وعدة حقيقيةً إلى جانب ذلك، فإن الرؤية كانت بعد كمال العدة لدى المسلمين وقبل المعركة بساعات وهذا تأثيره أقل مما لو كان قبل المعركة بوقت طويل.

تكلفة ، وهذا الأمر (الغرور) لا علاقة له بنوع العقيدة التي يدين بها المتحاربون، وهذا ما أ شار إليه القرآن[١].

- لا شك أن الخصم إذا أدرك أنه مهما جمع من قوة ومهما أعد من عدة، ومهما صنع من مكائد، فإنها لا تقوى على مواجهة خصمه ؛ لأنه مسنود بقوة أخرى كبرىهولا يعلمها إن هذا الشعور إذا خالطه، فإنه سيدخل المعركة بمعنويات هابطة تنتهي به إلى الهزيمة، وهذا هو عين الحرب النفسية، وقد أجادها الإسلام بشكل منقطع النظير، إذ أن حال من حارب الإسلام من أول يوم كان هذا شعوره، وإن كتمه عن الغير، وهو حال كل من وقف في وجه الإسلام عبر التاريخ ؛ لأنه يشعر أنه لا جدوى من أي إعداد، فكل جيش كان يلتقي بالجيش الإسلامي كان يدخل المعركة، وهو يتوقع الهزيمة بنسبة معينة والأمثلة التالية توضح هبوط معنويات أعداء الإسلام في كل العصور وإدراكهم مسبقاً للهزيمة، ويأسهم من جدوى الإعداد والاستعداد في مواجهة المسلمين. فهؤلا المشركون قبل معركة (بدر) قد آتاهم ما هز معنوياتهم بشكل كبير فمن ذلك:

- **رؤيا عاتكة**:(عن عاتكه بنت عبد المطلب قالت رأيت راكبا أخذ صخرة من أبي قبيس فرمى بها للركن فما تركت الصخرة دارا من دور قريش إلا دخلتها، منها دور بني زهرة)[١]

(٢) ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (التوبة/٢٥

– **رؤيا جهيم بن الصلت** : (رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن قتل يوم (بدر) من أشراف قريش ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه)[٢]، فهذه المقدمات جعلت بعض قادة قريش يتراجعون عن خوض المعركة فهذا الأخنس ابن شريق قام(فقال لبني زهرة: يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بي جبنها وارجعوا ، فرجع معه بنو زهرة)[٣] وقام عتبة بن ربيعة فقال:(يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فإن أصابوه

(١) أخرجه الهيثمي، في مجمع الزوائد، ٦/٧٠، وقال : رواه الطبراني مرسلا وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن.

(١) ابن هشام ، عبد الملك الحميري المعافري أبو محمد ت ٢١٣هـ : السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤف سعيد، دار الجيل، بيروت، ط/١ ،١٤١١هـ، ٣/ ١٦٥.

(٢) الطبري ،محمد بن جرير أبو جعفر– ت ٣١٠هـ :تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية،بيروت ، ط/١، ١٤٠٧هـ، ٢/٢٩.

فذاك الذي أردتم)[١] كل ذلك أصاب معنويات المشركين بمقتل لدرجة أن أبا جهل لم يجد ما يستثيربه القوم قبل المعركة إلاَّ أن دفع عامر بن الحضرمي (فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب)[٢] ثم جأت مقولة عمير بن وهب الجمحي الذي أنتدبه الجيش المكي لاستطلاع الجيش الإسلامي قبل المعركة لتقضي على البقية الباقية من المعنويات حيث قال في وصفه للجيش الإسلامي:(ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا، أو ينقصون ،ولكن أمهلوني حتى أنظر ألهم كمين أم مدد؟ قال فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم)[٣] فهذه المقولة وإن كان فيها تحريض لقريش على الثبات إلا أنها تحمل تثبيطا ظهر من خلال وصف القوم ، وكون المتكلم يميل إلى السلامة، أوالرجوع (فروا رأيكم) فوصفه بين بوضوح صلابة جيش الإسلام ، واستحالة هزيمته إلاَّ أن يفنى عن أخره، وذلك هز معنويات الجيش المكي كونه سيقابل من

(٣) الطبري:التاريخ، مصدر سابق، ٢/ ٣١

(٤) ا لمصدر نفسه .

(١) المصدر نفسه، ٢/٣٠.

هم بتلك الصفات التي ذكرها (عمير) وبهذا فقد دخل الجيش المكي المعركة بروح مهزوزة جداً فلما تقابلا الجيشان ، ورأى الناس مصرع بعض من ذُكروا في رؤيا (جهيم) فروا هاربين وكانت الهزيمة.

وهناك أمثلة أخرى تبين مدى يأس خصوم المسلمين من الانتصار فمن ذلك:

- **مقولة أبي سفيان** يوم الفتح ، قال للعباس: وهو ينظر إلى جيش المسلمين قبل يوم الفتح عندما رأى كتيبة رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.(سبحان الله يا عباس من هولاء؟ قال العباس : قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال أبو سفيان: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة...فرجع إلى قومه في مكة (حتى إذا جاءهم صاح بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمدٌ قد جاءكم بما لا قبل لكم به)[١].

- **ما روي عن أحد قادة جيش الروم**.(ويسمى(القبقلار) أنه بعث رجلاً عربياً من قضاعة عيناً له بين المسلمين ، وقال له: ادخل في هؤلاء القوم ، فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم أتني بخبرهم قال: فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر، فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه ، فقال له:ما وراء ك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ولوزنا رجم لإقامة الحق فيهم، فقال له(القبقلار): لئن صدقتني لبطن الأرض خيرمن لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن أحظى من الله

(١) ابن هشام: مصدر سابق، ٧٤/٤ .

أن يخلي بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي)[١] فهذا القائد لشدة يأسه من النصر قال تلك المقولة، ولا يقول هذا إلا من وصلت معنوياته إلى أدنى مستوياتها.

– موقف هرقل :وهذا هرقل يسأل عن المسلمين (فقال وهو على (إنطاكية) لما قدمت منهزمة الروم ويلكم اخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلى قال: فانتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن قال: فما بالكم تنهزمون: فقال شيخ من عظمائهم: من اجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن اجل أنا نشرب الخمر ونزني ، ونركب الحرام وننقض العهد ، ونغصب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض فقال: أنت صدقتني)[٢] فهذا الوصف للهزائم المتكرر والتساؤل عن أسبابها أوصلت هرقل إلى اليأس من مواجهة المسلمين ،والتسليم بما قال ذلك الشيخ (أنت صدقتني) ولقد اشتهر على الألسن مقولة يقال أنها لأحد ملوك الصين حينما أستنجد به أحد الملوك ضد المسلمين فقال: مالي ولقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها)

(٢) الطبري: التاريخ، مصدر سابق ٢/ ٣٤٧ ، محمود شاكر: التاريخ الإسلامي،٣/ ١٥٤.

(١) بن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت– ٧/ ١٥ ،محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ١٥٤/٣.

– مقولة المقوقس :وهذا المقوقس عندما (حاصره عمرو بن العاص جمع اساقفتة ، وأكابر دولته وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا قيصر، وأزالوهم عن ملكهم ، ولا طاقة لنا بهم ، والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم)[١].

ولم يخل العصر الحاضر من الأمثلة.

ففي حين ينعدم الكيان الإسلامي المتمثل في دولة تتبنى الجهاد بمفهومه الشامل[٢] نجد جماعات هنا وهناك تقوم بأعمال الجهاد (القتال) بأساليب شتى، وبروح معنوية عالية أذهلت الخصم الأمر الذي جعله محتارا في كيفية المواجهة، مع تيقنه من عدم القدرة على إحراز النصر الكامل.

فهذا أحد القادة اليهود في حرب فلسطين ١٩٤٨م يقول: إننا لا نخشى الجيوش العربية مجتمعةً، وإنما نخاف من هولاء –ويقصد المتطوعين من المجاهدين – فقال له شخص : وما الذي يخيفكم من هولاء وهم قلة، ولا تخافون من الجيوش العربية؟ فقال ذلك القائد: نحن والجيوش العربية متساوون في التشبث بالحياة فنحن أتينا من كل أنحاء العالم لكي نعيش، والجيوش العربية تقاتل لكي تعيش، أما هؤلاء–ويعني المتطوعين – فإنهم جاءوا لكي يموتوا[٣].

---

(٢) ابن كثير :المصدر نفسه ٧/ ٩٩.

(٣) المفهوم الشامل للجهاد يعني: البناء والصيانة للصف الإسلامي، ونشر الإسلام خارج الإطار الإسلامي.

(١) العالم ،جلال: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ،الكتاب محمل على موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .

وهذا الرئيس الأمريكي السابق (رونلد ريغان) يسأله سائل: يا(ريغان) أين كنت حينماُ ضُرب مقر قوة(المارنز) في لبنان؟ – وكان قد نسفته المقاومة في لبنان فقتل كثير من عناصر (المارنز) فقال (ريغان): إني اسئلك سؤالاً أنت ما ذا ستصنع لمن جاءك يريد أن يموت ؟ فسكت السائل، وريغان يقصد أن من قام بنسف مقر قوات (المارنز) مجاهدون جاءوا لطلب الشهادة (الموت)[١]فهذه لأمثلة وما سبقها تبين أن الخصم عندما يدرك أنه مهما صنع فإن مصيره إلى الهزيمة ، تهتز معنوياته اهتزازا قوياً، بل ويقلل من استعداده للمعركة لأنه يصل إلى نتيجة مفادها: أنه يسير إلى الهزيمة سواء أعدَّ أو لم يعد، فالنتيجة واحدة، والمعارك التي حدثت بين المسلمين وخصومهم كان الخصم يشعر دائماً بأنه مهزوم لا محالة، وإنما كان يدخل المعركة على سبيل العناد والمكابرة، متجاهلاً قوة خصمه عن قصد ، مغتراً بقوته منهزماً في داخله ، وفي المطالب التالية نعرض لبعض الصور التي تثبت ذلك

٢ – الإخبار بإضعاف الكيد

الآية ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ ١٨). قال ابن كثير: (هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنْ أَعلمْهم أنه تعالى مُضْعِفٌ كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصغر أمرهم، وأنهم كل مآلهم في تبار ودمار ولله الحمد والمنة)[٢].

(٢) من محاضرة للشيخ عبد المجيد الزنداني،أوائل عام ١٩٨٦م في أحد مساجد صنعا، كان الباحث أحد الحاضرين، وكان الشيخ يتحدث عن الجهاد في أفغانستان.

(١) ابن كثير: مصدر سابق، ٣٠٨/٣.

وقال صاحب الظلال: (وهذه أخرى بعد تلك الأولى، إن التدبير لا ينتهي عند أن يقتل لكم أعداءكم بأيديكم ويصيبهم برمية رسولكم ويمنحكم حسن البلاء ليأجركم عليه.. إنما يضيف إليه توهين كيد الكافرين وإضعاف تدبيرهم وتقديرهم)[١] فهذه الآية تجعل العدو يدرك أنه مهما جمع، ومهما أعد ، فإن كيده ضعيف، والتوهين المقصود بالآية بدرجة أساسية هو: إدخال الانهزام النفسي في قلوبهم، أي ضعف الروح المعنوية، وإن كان يملك أكبر عدد من الجيش وأكثر عدة.

قال القرطبي﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ ... والمعنى: أن الله عز وجل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يتشتتوا ، ويتفرق جمعهم ، فيضيعوا الكيد والمكر)[٢]

والأمثلة التي ذكرناها سابقاً تبين أن المشركين ،ومن بعدهم كانوا يواجهون المسلمين، وهم على يقين من قصر استعدادا تهم ، واعترافهم بأن المسلمين أعلى معنوية منهم، وإضعاف كيد الكافرين لم يكن قاصراً على كيد مشركي العرب، بل يتعداه إلى كل مشركي الدنيا وكفارها على مر العصور سابقاً وحاضراً، ومستقبلاً فإن لفظة (موهن) الواردة في الآية هي اسم فاعل، والتعبير بالاسم في اللغة- كما هو معلوم- يدل على الاستمرار والثبات ،وعلى ذلك فالوهن في كيد الكافرين مستمر ، ويدل على لزوم

(٢) سيد قطب ت ١٩٦٦م : في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط/١١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٣/ ١٤٩٠.

(١) القرطبي:مصدر سابق، ٣٨٦/٧.

الوهن في أي جيش يريد محاربة الإسلام في كل عصر لأنه دين الله الخاتم، وقد تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩). وهذا الأمر راسخ في نفوس من يريد حرب الإسلام ، لذلك تيقن خصومه أنهم لا يستطيعون قهر المسلمين مادام الإيمان هو المحرك لهم يقول(جلادستون) رئيس وزراء بريطانيا السابق: (مادام القرآن موجوداً ، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان) ويرى المستشرق (غاردنر): (إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا)[1] ولذلك فقد ابتكروا حرباً من نوع آخر ، وهي حرب الأفكار، إذ عمدوا إلى صرف الناس عن المحرك الذي يستحقون بالالتزام به النصر: ألا وهو الإسلام ؛ لأنهم يدركون أن تمسك المسلمين به يعني انتصارهم فإذا ابتعدوا عنه لا نصر لهم ،وهذا هو واقع المسلمين اليوم، وقد بدأت حركة الاستشراق من وقت مبكر، ومهدت للاستعمار العسكري في العالم الإسلامي فجاءت الجيوش تحمل بندقية وثقافة فرضتها بكل الوسائل، فلما أطمأن المستعمر بأن ثقافته قد عُممت، ونجح في عزل جماهير المسلمين عن الإسلام انسحب وخلف أتباعاً رباهم على عينه يؤّمنُون على كل ما قاله أو فعله، وظل الأمر كذلك حتى ظهرت الصحوة الإسلامية، وبدأت تطالب المسلمين بالعودة إلى دينهم، فنظرت الدول الاستعمارية

(١) العالم، جلال: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ،الكتاب محمل على موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .

إلى تلك الصحوة نظرة الخائف، فقامت بمواجهتها بكل أنواع الوسائل ومع ذلك فهي في نمو مستمرلن يضرها- إن شأ الله- كيد الكائدين ،أو تآمر المتآمرين ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

٣ - الجزم بالهزيمة المحققة لخصوم الإسلام وإن كثر ت أعدادهم

الآية ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٩).

قال الإمام الشوكاني (الاستفتاح طلب النصر ، وقد أختلف في المخاطبين بالآية من هم؟ فقيل: أنها خطاب للكفار تهكماً بهم والمعنى : إن تستنصروا الله على محمد ، فقد جاءكم النصر، وقد كانوا عند خروجهم من مكة سألوا الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فتهكم الله بهم وسمى ما حل بهم من الهلاك نصراً، وقيل : الخطاب للمؤمنين، والأول هو الراجح لدلالة بقية الآية عليه)[١]

(١) الشوكاني: فتح القدير، مصدر سابق، ٢/ ٢٩٧.

وقال صاحب الظلال (وفي ظل هذا الإيحاء، يرغبهم في الانتهاء عما هم فيه من الشرك والكفر، والحرب للمسلمين والمشاقة لله ورسوله (وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) ومع الترغيب والترهيب: (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) والعاقبة معروفة لا يغيرها تجمع، ولا تبدلها كثرة (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) وماذا تفعل الكثرة إذا كان الله في جانب المؤمنين (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ).. ولقد كان مشركوا العرب يعرفون هذه الحقيقة، فإن معرفتهم بالله سبحانه لم تكن قليلة وسطحية، ولا غامضة)[1].

من الواضح أن هذه الآية نزلت بعد نهاية معركة (بدر) الكبرى، وهي تبين أن الله يريد أن تظل نتيجة المعركة وانتصار المسلمين فيها في أذهان المشركين فكأنها تقول: يا أيها المشركون قد أعددتم العدة لمواجهة المسلمين وكانت النتيجة هزيمتكم ونصر المسلمين عليكم، وهذا الأمر لا يختص بمعركة (بدر) فقط ، فإنكم إن أعددتم لأي معركة ضد المسلمين مستقبلا ، فستكون النتيجة هي الهزيمة، ولا تظنوا أن الهزيمة ببدر كانت بسبب قلة عددكم أوعتادكم، وحتى لو كان عددكم وعتادكم أكثر فإنها ستكون الهزيمة؛ لأن الله مع المؤمنين ، والتهكم الوارد في الآية على المشركين الذين خرجوا لتأديب المسلمين في (بدر) -على حد زعمهم- وعلى رأسهم فرعون هذه الأمة أوضح بيان لخيبة آمالهم في الانتصار على المسلمين بعد (بدر)، إذ أن المشهد الذي صورته الآية -تهكما- ظل شاخصاً وظلت قريش تجتر أحزان (بدر) حتى

(١) سيد قطب:في ظلال القرآن، مصدر سابق، ١٤٩١/٣.

بسط الإسلام نفوذه على كامل الجزيرة العربية، وانتهت قريش كطرف في مواجهته، والآية وإن كانت رداً متهكماً على استفتاح أبي جهل قبل المعركة بأن ينصر الله أحق الطائفتين[١]، فإن مدلولها النفسي سيظل إلى قيام الساعة، لأن الخطاب وإن كان لمشركي مكة، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فالاعتقاد بمعية الله للمؤمنين يؤثر إيجاباً على المؤمنين ما هتفت ألسنتهم بـ (الله أكبر)، ويؤثر سلبا على خصومهم . وهذه الآية تزيل ما قد يقع لدى البعض من اللبس من أن إضعاف كيد الكافرين المذكور في الآية السابقة خاص بما يتعلق بجانب المخادعة والمكايدة، أما العدد إذا كان كثيراً ، فلا سبيل إلى مواجهته إلاَّ بعدد مكافئ له، فجاءت هذه الآية بالتصريح (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) فلا كيد ولامخادعة ، ولاعدد ولا عدة تنفع في مواجهة من هم في معية الله، ؛ لأن الخصم هنا ليس كما يظنون بشراً يأكل الطعام، ويتأثر بالعوامل المادية فقط،، وإنما هو بشر يحمل ديناً لم يدركوا طبيعته ودوره في الحياة، فذلك الدين جاء ليبقى ، ويكون هو الأعلى ، وما دام كذلك ، فلا مجال لأتباعه إلا أن يكونوا هم الأعلى ، وإلا، فالموت أولى.

(٢) روى الاستفتاح المذكور : الحاكم، في المستدرك، ٣٥٧/٢ ، رقم ٣٢٦٤، عن عبد الله بن ثعلبة.

طريقان لا ثالث لهما إما العزة وإما الموت، ومن كان ذليلاً فهو في عداد الموتى حتى ينفض عن نفسه غبار الذل، ولا يحصل له ذلك إلاّ بالإيمان ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/١٣٩).

وطبيعة هذا الدين لم يدركها الخصم ، أو أنه يدركها ،ولكنه يحاول التغاضي عنها حقداً وعناداً وكبراً ،فمشركو العرب لم يكونوا أقل فهماً ممن سبقهم الذين قال الله عنهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ النمل١٤) وعلى ذلك ، فقد كانت معنويات المشركين في انهيار مستمر حتى انتهت قريش كأكبر قوة في الجزيرة العربية، وقد ظلت هذه الآية تقرع في أذانهم بأجراسها، وإيحاءاتها الجازمة (فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) (وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ) (وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) (وَلَنْ تُغْنِيَ) نعم لن تغني (وَلَوْ كَثُرَتْ) نعم ولو كثرت، ولو بلغ أعدادها أضعاف المؤمنين. لماذا؟ لأن الله مع المؤمنين. ومن له طاقة وقبل بمن يقف بجهةٍ الله ؟.

ثالثا: إرهاب الخصم بالمعركة ونتائجها

١- الإسلام وهدف القتال

ينطلق هدف القتال من طبيعة الإسلام وهدفه العام، وأبرز هدف للقتال هو:تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتعبيده لله وحده، وهو ما عبر عنه الصحابي الجليل ربعي بن عامر في معركة القادسية عند ما سئل ما الذي جاء بكم؟ فقال: (الله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى

سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لدعوتهم إليه،، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه،ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله قال رستم: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي)[١] وهو هدف الإسلام، والجهاد جزء منه، والقتال جزء من الجهاد، فالهدف بالجملة هو تعبيد الإنسان لله وحده قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات٥٦)

وهناك أهداف أخرى جزئية ستتضح من خلال الكلام في هذا المطلب ، والإسلام دين السلام والمحبة والوئام، وأحكام الإسلام تهدف إلى حماية الإنسان وصيانة عقيدته وعرضه وماله، فهي تدور حول الكليات الخمس- كما ذكر الأصوليون- (حماية الدين والنفس، و العقل و العرض، ،والمال)[٢] والقتال كتشريع يصب في هذا الاتجاه، ويحتل الإنسان في التشريع الإسلامي مكانة عالية ،ويحرص عليه الإسلام حرصاً شديداً، حتى مع الاختلاف في الدين ، فالمعاهد، والمستأمن في ظل الدولة الإسلامية،عقيدته مصانة ،وهو معصوم الدم، وماله وعرضه لا يجوز التعرض لهما، وفي أرض المعركة لا يُقتَلُ شيخ، ولا امرأة، ولا طفل، ولا راهب في صومعته ، وفي فقه القتال يحرص الإسلام أن لا تتعدد المعارك ، فإذا كانت المعركة الواحدة تكُفُّ أكثر من خصم في آن واحد كان حسناً، فالقتال كغيره من أحكام الشريعة

(١) الطبري: التاريخ، مصدر سابق، ٤٠١/٢، محمود شاكر: مصدر سابق، ١٧٥/٢.

(١) خلاف،عبد الوهاب: علم أصول الفقه ،دار القلم، الكويت، ط/٢٠ ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ١٩٩.

الإسلامية العقابية يهدف -بالدرجة الأولى- إلى الردع، ويهدف إلى الوقاية أكثر من هدفه إلى العقاب ؛ لذلك فمعارك الإسلام_ عبر التاريخ_ كان المسلمون فيها يحرصون على إيلام الخصم المتقابل معه في أرض المعركة، فيبلغ الأمر المتربص فيؤثر السلامة ، ولا يتجرأ على حرب المسلمين، والإسلام يدفع الحرب قبل حدوثها، إذ يعتبرها آخر ورقة يستخدمها مع الخصم، فالدعوة إلى الإسلام، ثم الدعوة إلى دفع الجزية، ثم القتال وهو موجه إلى صدور المتسلطين على رقاب البشرية الذي يشكلون حاجز الفصل بين الناس وبين حرية الاعتقاد ، وهو بهذا يدافع عن عقل الإنسان وإرادته وحريته ، فحرب الإسلام إنما تكون موجهةً ضد من يتسلط على الإنسان ويفرض عليه عقيدةً معينةً بشكل قسري، ويحول بينه وبين ما يشتهي ، ولذلك ، فإن أولئك المتسلطين إذا استسلموا ورضوا بدفع الجزية للدولة الإسلامية، فإنه يتوجب عليهم أن يخلوا بين الناس وبين ما يريدون من العقائد، فإن رضخوا لهذا الأمر، وإلاَّ فهم محاربون لتعديهم على حقوق الإنسان في أن يختار مايشاء ، وإذا دخل الإسلام في حرب مع خصم فإنها يجب أن تكون مؤلمةً محققةٌ لأهدافها القريبة والبعيدة، ومن خلال الاستقراء لما طرقته سورة الأنفال وتحدثت عنه: تبين أنها تهدف إلى أن تكون نتائج المعركة القتالية التي يتوخاها الجيش الإسلامي منحصرة في أربع صور: الأولى القتل، الثانية الجرح، الثالثة الأسر ، الرابعة الإرهاب. أي أن جيش الخصم يجب أن لا يخرج عن الصور الأربع المذكورة إما قتيلاً،أو جريحا،أو أسيرا أو مرهوباً،ومعنى مرهوباً- خائفا فارا- وبذلك يتحقق الردع المطلوب من

القتال كتشريع، لذلك يعد الفرار من الزحف كبيرة من الكبائر[١] لأنه يذهب أهم أهداف القتال وهو الردع ،ولا يتحقق من المتخاذلين الفارين[٢]، والإسلام لا يقبل نتيجة أي معركة قتالية بين المسلمين وخصومهم ما لم يكن الظهور فيها للإسلام، والانتكاسة لخصومه، ولهذا فقد عمل الإسلام بكل قواه الروحية على توجيه المسلمين لتحقيق هذه النتيجة، فقد رفع مكانة الشهيد و قال عنه :أنه انتقل من حياة إلى أخرى هي أفضل بكثير من هذه الحياة الدنيا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) آل عمران.

وبهذا ، فالإسلام يدفع دفعاً للسباق والاجتهاد لتحصيل تلك الحياة الهانئة التي لا توازيها حياة ، وهذا التحفيز الذي اتخذه الإسلام للترغيب بالقتال جعل المسلمين لا

(١) فقد قال النبي ﷺ : (ثم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) رواه البخاري ١٠١٧/٣ رقم ٢٦١٥،ومسلم ٩٢/١ رقم ٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه،ففي هذا النص عد الفرار من الزحف من الموبقات:أي المهلكات.

(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ(١٥)وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال/١٦

يدخلون معركة إلاّ وهم يرفعون شعار (النصر أو الشهادة) وفي المطالب التالية سنتحدث عن بعض الصور التي ذكرتها السورة وهي تصب في مجملها في إرهاب الخصم بما تشنه من حرب نفسية داخل الميدان و خارجه، وتتخذ الأسلوب العملي التصويري في تنفيذ ذلك.

٢- تصوير السيوف وهي تهوي على الرقاب والبنان:

الآية: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (١٢).

وهذه الآية تصور حركة السيوف وهي تهوي على الرقاب والأطراف تصويرا يكاد السامع أن يبصره ، والغاية من هذا التصوير هي إدخال الرعب في نفوس الأعداء ، والنص ، وإن كان إخباراً عما أوحى الله للملائكة إلاَّ أن فيه إشارة واضحة إلى كيفية إيقاع الألم في الخصم بضرب الرقاب، وإشارة إلى شدة الالتحام والهجوم الشديد على الخصم، لإرهابه وإرهاقه، ويجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين مباشرة يقول الطبري :(يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم ، وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم فاضربوا فوق الأعناق..... وأما قوله واضربوا منهم كل بنان، فإن معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم)[١]

وقال الزمخشري: (ويجوز أن يكون قوله (سألقي..) إلى قوله كل بنان عقب قوله: (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) تلقيناً للملائكة بما يثبتونهم به كأنه قال: قولوا لهم قولي سألقي في

(١) الطبري: التفسير،مصدر سابق، ٩/ ١٩٨ ،١٩٩.

قلوب الذين كفروا الرعب، أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم؟ فقيل: قولوا لهم قولي: سألقي...الآية ، فالضاربون على هذا هم المؤمنون)[١].

وقال القرطبي: (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان كأنه يقول قد أزحت عِلَلَكم وأمددتكم ،فاضربوا منهم هذه المواضع :وهو المقتل لتبلغوا مراد الله في إحقاق الحق وإبطال الباطل والله أعلم)[٢].

وقال العلامة ابن كثير:(وقوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أي ثبتوا أنتم المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم عن أمري لكم بذلك سألقي الرعب والذلة والصغار على من خالف أمري وكذب رسولي ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان أي اضربوا الهام فافلقوها واحتزوا الرقاب فاقطعوها واقطعوا الأطراف منهم)[٣].

وعلى هذا فإن جو المعركة بتصوير هذه الآية يدل على مدى الإيلام الذي يجب إيقاعه في الخصم (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال صاحب الكشاف: (فوق الأعناق) على الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا، وتطييراً للرؤوس، وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق... والبنان الأصابع يريد الأطراف، والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى[٤] لأن الضرب إما واقع على

(٢) الزمخشري: مصدر سابق، ١١٨/١.

(١) القرطبي: مصدر سابق، ٣٦٨/٧.

(٢) ابن كثير :التفسير، مصدر سابق، ٢٩٣/٢.

(٣) الشوى : (اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس وجلدة الرأس يقال لها شواة وقال الزجاج: الشوى جمع الشواة وهي: جلدة الرأس) لسان العرب ٤٤٨/١٤.

مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين معاً..)[١].وبهذا فإن المحاربين للمسلمين في المعركة يجب أن ينتهي الرجل منهم إلى إحدى الحالات الثلاث : إما مقتولا أو مأسورا أو فارا ، والفار إما مشوها(مبتور احد أطرافه) أو مرعوبا، وكلا الصورتين تؤديان الغرض المطلوب من إرهاب الآخرين ،وكل معركة من معارك الإسلام يجب أن تكون هذه نتيجتها وقد شدد القرآن على ضرورة الالتحام والنهي عن الفرار من أرض المعركة قال تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦) الأنفال .

فالآية دلت بدلالة الإشارة[٢] إلى أن التولي يوم الزحف يفتح الباب لمعارك قادمة ومتتابعة ، وهذا مالا يريده الإسلام ؛ لأنه يريد من الجيش المسلم إذا ضرب سدد الضربة وأوجع حتى لا يفكر الخصم في مقاومته ، فيكون الاستسلام والسلام وهو المراد، ومعلوم أن المسلمين في معاركهم كانوا يرفعون شعار (النصر أو الشهادة) وكانوا لا ينظرون إلى النصر بقدر ما ينظرون إلى الاستشهاد ، لأنه اقرب الطرق إلى الجنة قال تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء٧٤).

فمنطوق الآية يدل على أن الشهادة أولا(يُقتل)والنصر ثانيا(يَغلِب)أي ينتصر، وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(٤) الزمخشري: مصدر سابق،١/ ١١٨.

(١) المعنى الذي يتبادر فهمه من اللفظ، ولا يقصد من سياقه،ولكنه لازم للمعنى.ينظر خلاف ،١٤٥.

(الصف١٣)،وهذا يعني أنَّ هناك أولى ،ومن المعلوم أن أي قوة تعلم شدة وبطش من يقابلها تصاب بالانهزام النفسي، وتصوير المشهد في هذه الآية يجعل كل خصم من الخصوم يتحسس رأسه وأطرافه، ويتخيل القطع والبتر والحز مما يجعله يهتز ويرتعب وتنخفض معنوياته ، وذالك هو المطلوب.

٣- إيقاع الألم في المواجه ليرتدع المتربص..

الآية ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنفال/٥٧).

قال ابن كثير (فإما تثقفنهم في الحرب أي تغلبهم وتظفر بهم في حرب فشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم قاله ابن عباس والحسن البصري[١] والضحاك[٢]ومعناه غلظ عقوبتهم وأثخنهم قتلا ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ، ويصيروا لهم عبرة لعلهم يذكرون))[٣]وهذه الآية تأكيد للآية السابقة ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ولكن هذه الآية صريحة في تحديد الهدف من

(١) الحسن البصري : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم جمع كل فن من علم وزهد وورع عبادة ، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ،وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ت سنة ١١٠هـ ودفن في البصرة . ينظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٦٩/٢ وطبقات المفسرين ١٣/١.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد وقيل أبو القاسم صاحب التفسير كان من أوعية العلم وليس بالجود لحديثه وهو صدوق في نفسه حدث عن أبي سعيد الخدري وابن عمر وأنس بن مالك وعن الأسود وسعيد بن جبير وعطاء وطاووس وطائفة قال سفيان الثوري: كان الضحاك يعلم ولا يأخذأجرا ت سنة ١٠٢هـ ينظر ترجمته في طبقات المفسرين، ١٠/١، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٩٨ .

(٣) ابن كثير: التفسير، مصدر سابق، ٢/ ٣٢١.

إيقاع الألم، فشدة البطش وقسوة العقوبة ليس المقصود منه أولئك الذين بساحة المعركة فحسب، بل ما ينزل بهم من القتل والإيلام ما هو إلا رسالة إلى غيرهم حتى لا يجرؤا على حرب المسلمين ، وإذا كانت الآية السابقة تصور مهاوي السيوف بشكل تفصيلي (﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ...) فإن هذه الآية تشير إلى إيقاع الألم فحسب ، وفيها إشارة إلى أن المعركة قد تكون بغير السيوف والرماح _أي بالأسلحة التقليدية_ وبالتالي فإن الإيلام هو المطلوب سواء كان بالسيف أو بغيره المهم حدوثه ووقوعه، وعلم الخصم بما سيحدث له ولمن خلفه من البطش والتشريد يجعله يفكر ألف مرة قبل أن يقدم عل أي عمل عدائي ضد المسلمين، ولاشك أن معنوياته ستنهار ويؤثر السلامة، وهذا ما حدث بالفعل لزعيم بني (قريظة) كعب بن أسد عندما جاءه حيي ابن اخطب ليطلب منه نقض العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم (إذ قال: له حيي جئتك بعز الدهر وببحر طام...فقال كعب: بل جئتني بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه....)[1] إذ انه من خلال ما رأى من صنيع النبي صلى الله عليه وسلم ببني عمومته ،بني(النضير) وبني (قينقاع) فلم يتقدم ويستجب لحيي بنقض العهد إلا بعد أن ظل يفتله ويحاول إقناعه فاستجاب مع هزيمته النفسية التي أدت بالفعل إلى الهزيمة الفعلية والتي كانت كما قال :(ذل الدهر)

(١) الطبري: التاريخ،مصدر سابق، ٩٣/٢، المبارك فوري: مصدر سابق، ٢٩٧.

٤- القوة للردع أولا.

الآية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال ٦٠).

إن تفادي الحرب قبل حدوثها أمر يحرص عليه الإسلام، ويسعى له ويتخذ لتجنبه أساليب شتى ، ومن تلك الأساليب التي يتخذها: إعداد القوة، فهو عندما يعد العدة، قد لا يكون الغرض منه القتال ، وإنما المراد منه إخافة العدو حتى يكف عن القتال والأذى.

وهذه الآية تهدف إلى أمرين أحدهما: إعداد القوة لإرهاب الخصم المتقابل معه فتضعف رغبته في القتال ومقاومته وينهزم، والثاني: إرهاب الخصم المتربص فلا يجرؤ على المقابلة ، ويرضى بالسلام حتى لا يكون مصيره كمصير من سبقه﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر ١٥).

يقول صاحب الظلال: (انه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها

الأمر الثاني : أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة.

الأمر الثالث : أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا في مواجهة المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها.)[١] ومعلوم أن وصول معلومات إلى جيش ما عن الجيش الذي سيقابله تصفه بالشدة والبأس والبطش لاشك ستعمل عل شل فاعليته وتهزه هزا نفسيا عنيفا قد توصله إلى خيار الاستسلام قبل الدخول في المعركة وهذه غاية المراد بالنسبة للقوة الإسلامية

٥- الإثخان لإضعاف شوكة الخصم.

الآية ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال٦٧).

الإثخان هو الإمعان والمبالغة في القتل وهذه الآية تشير إلى حادثة الأسرى التي وقعت بعد(بدر) وهى تعارض –وبشدة- أن يكون هناك أسرى قبل الإثخان الذي يهدف أساسا إلى إضعاف شوكة الخصم وإيقاع الألم به حتى لا يتكرر منه العدوان ضد الإسلام، وهذا يعني أن الجيش الإسلامي يجب أن لا تأخذه شفقة ولا رحمة فيمن يحارب الإسلام فإذا تمكن من الخصم أوقع فيه الإثخان حتى يقلل عدد محاربيه ويكسر كبرياءه ، وحتى لا يتجرأ الذين لم يشتركوا في المعركة على محاربته ،إذ أن مشاركتهم تعني الهلاك ، وهو مالا يرضونه ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة٩٦).

(١) سيد قطب، في ظلال القران ١٠/١٥٤٣

ونظن أن المسلمين لواخذوا برأي عمر القائل بقتل الأسرى(حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة لهؤلاء)[١] فإن الوضع سيكون مختلفا في معركة (احد) إذ يمكن لذالك الإثخان الذي أراده الله أن يمنع الكفار من معاودة الكرة والتجييش لأُحُد فان تذكرهم لمئة وأربعين من صناديدهم وقادتهم سيقلل من فاعليتهم وسيحسبون ألف حساب لرسول الله وأصحابه، ولكن قدر الله وما شاء فعل .

(١) رواه ابن أبي شيبة، في مصنفه، ٣٥٨/٧،رقم ٣٦٦٨٤، والإمام أحمد في مسنده، ٣٠/١، رقم ٢٠٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الخاتمة

من خلال التنقل في ظلال آيات سورة الأنفال ندرك إنها تعرض صورا قوية من صور الحرب النفسية، وهي وان كانت تعرض لتفاصيل من معركة (بدر) الكبرى إلا أنها أسست لمنهج بديع قوي في الحرب النفسية سيظل نبراسا تستلهمه العقول وتسير وفق خطاه لتحقيق النصر، ومن خلال عرضنا لتلك الصور؛ نتبين أن سورة الأنفال وضعت منهجا لاستخدام الحرب النفسية قبل المعركة، وأثناء المعركة، وبعد المعركة، وهو المنهج المتكامل في المواجهة بين القوى العسكرية في عصرنا الحاضر، فان القوى المتحاربة في الوقت الحاضر تشن حربا نفسية على بعضها قبل المعركة، وتشن حربا نفسية على بعضها مصاحبة للمعركة، وتشن حربا نفسية على بعضها بعد المعركة، والفارق بين الحرب النفسية التي تشنها القوى المادية على بعضها، والحرب التي وضعتها سورة الأنفال: يتجلى في أن الحرب النفسية اليوم تعتمد الإشاعة الكاذبة وتعتمد كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ولا تحكمها الأخلاق ، في حين الحرب النفسية في ضوء سورة الأنفال لم تستخدم الإشاعة الكاذبة ، وإنما استخدمت الحقائق المنطقية التي يتفق عليها الكل حتى الخصوم ، واستبدلت الإشاعة بأسلوب يسمى التورية،ولم تغفل الأخلاق، وإن كان الإسلام يجيز الكذب في الحرب فقد قال صلى الله عليه وسلم:(الحرب خدعة)(١) والحرب النفسية التي اعتمدتها السورة تستهدف كل شرائح الخصم، القادة والجنود، القريب والبعيد ، المموِل والمموَل ، من

(١) رواه البخاري، ٣/ ١١٠٢، رقم ٢٨٦٥، ومسلم، ٣/ ١٣٦٢ ،رقم ١٧٤٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دخل المعركة ومن لم يدخلها وهي بهذا المنهج تشكل سياجا قويا على الأمة المسلمة تصتدم به كل النفوس التي ترغب في النيل من الإسلام وأهله.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١- الأنصاري، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد ت ٣٦٩هـ: طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق عبدالغفورعبدالحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي-ت٢٣٥هـ: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد ، الرياض، ط /١٤٠٩، ١هـ.

٣- الشيباني ، احمد بن حنبل: أبو عبد الله ت ٢٤١هـ: المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.

٤- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي ت ٢٥٦هـ: الجامع الصحيح ،تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت ، ط/٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٥- ==== :التاريخ الكبير،تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

٦- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري : الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٧- =====: الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط/١ ،١٤٠٤هـ.

٨- الهيثمي ، علي بن أبي بكر ت ٨٠٧ هـ: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث،و دار الكتاب العربي، القاهرة و بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٩- ابن خلكان،أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٠٨هـ ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٨م.

١٠- الشوكاني، محمد بن علي ت١٢٥٠هـ : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت،١٩٨٣م.

١١- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله –ت ٧٤٨ هـ: سيرأعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٩ ، ١٤١٣هـ.

١٢- القيسراني، محمد بن طاهر ت ٥٠٧هـ، تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)،تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، الرياض ،ط/١ ، ١٤١٥ هـ.

١٣- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء ت ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة، بيروت، ط/٢ ، ١٩٨٩ م .

١٤- ====: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.

١٥- الصنعاني،أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ١٢٦هـ: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٢، ١٤٠٣ هـ.

١٦- محفوظ،محي الدين علي : مدخل إلى العقيدة والإستراتيجية، دار الاعتصام، القاهرة، ط/٢.

١٧- الزبيدي، كامل: علم النفس في الميزان العسكري، الدار العربية للموسوعات، ط/١، ١٩٨٨م.

١٨- نوفل،أحمد: الحرب النفسية، دار الفرقان،عمان، ط/٣ ،١٩٨٧م.

١٩- الجبوري، نهاد شهاب: العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، بغداد، بدون طباعة ولا تاريخ.

٢٠- الطبري، الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر ت ٣١٠هـ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢١- ====: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت- ط/ ١ عام ١٤٠٧هـ.

٢٢- القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله ت ٦٧١هـ : الجامع لأحكام القرآن،تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب، القاهرة، ط/٢، ١٣٧٢ هـ.

٢٣- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف ت ٦٧٦هـ: صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط/٢ ، ١٣٩٢هـ .

٢٤- ابن القيم، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله ت ٧٥١هـ : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة و مكتبة المنار الإسلامية ، بيروت و الكويت ، ط/٤ ،١٤٠٧.

٢٥- ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري ت ٧١١هـ: لسان العرب، دار صادر، بيروت ،ط/١.

٢٦- الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري - ت ٤٠٥هـ :المستدرك على الصحيحين،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دارالكتب العلمية، بيروت، ط/١،هـ١٤١١- ١٩٩٠م.

٢٧- خلاف،عبد الوهاب: علم أصول الفقه - ، دار القلم، الكويت، ط/٢٠ ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٢٨- ابن هشام، عبد الملك الحميري المعا فري أبو محمد ت ٢١٣هـ :السيرة النبوية،تحقيق طه عبدالرؤف سعيد، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٤١١هـ.

٢٩- قطب، سيد ت ١٩٦٦م: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ،ط/١١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠- شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١ ، ١٩٨٥م.

٣١- الزمخشري ، أبي القاسم جار الله محمود عمر الخوارزمي ت ٥٣٨هـ : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت،- بدون طبعة ولا تاريخ.

٣٢- المبارك فوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، دار القلم، بيروت،ط/١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٣- مجموعة من الباحثين: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق العربي، بيروت،ط/٢٨ ، ١٩٨٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

THE HOLY QURAN HIGH COLLEGE MAGAZINE

Annula; Scientific; And Precise; Lssued BY The Holy Quran High College – Republic Of Yemen

Chief of Editing
Dr. Abdulhaq AL-Qadhi

Director of Editing
Mr. Hassan Jaber

Deputy Director Of Editing
Mr.Samiah AL-Bidany

Secretary Of Editing
Mr. Fuad AL-Surihy

Consultation Body

Prof. Dr. Hassan Mohamed AL-Ahdel .
Prof. Dr. Mohamed Sinan AL-Jalal.
Prof. Dr. Abdulkareem Zaydan .
Prof. Dr. Abdulwahab Lutfi AL-Daylami.
Prof. Dr. Ali Ghaled AL- Mikhlafi.
Prof. Dr. Ali Ahmed AL-Qulaysi .
Prof. Dr. Mohamed Yousef AL-Rubaydi.
Prof. Dr. Mohamed Hatam AL-Mikhlafi.
Prof. Dr. Ibraheem Ibraheem AL-Quraybi.

All Correspondencas To be Titled To Directir Of Editing On The Following Address
The Holy Quran High College Megazine - Republic Of Yemen – Sana'a
P.o. Box (11229) Tel (216565-4) Fax (216869)

Printing And Artistic Direction : Mohmed Ali AL-Bzzaz

The Holy Quran High College Magazine

Annual , Scientific and Precise , Issued By The Holy Quran High College - 3rd Issue - December 2005

In This Issue

Hadith Narrators in Dhamar Until the End of 3rd Hijjri Century
Dr.Abdul-Rahman Al-Khamisi

Human Ego in the Holy Qura'an
Its concept and Dimentions
Dr. Bodor Al-sheikh Fadhel

The Rules of Kalala in Qura'an
Dr. Abdu Mohammad Yusef

دار المجد للطباعة والنشر ت ٢٢٨٩١٥